صوت الراوي

تمضي **الراوي** في مسيرتها لخدمة القصة القصيرة في منطقة الجزيرة العربية، وخارجها، في محاولة لإبراز صوت الإبداع لتصل إلى أولئك الباحثين عن الإبداع في عالم أوسع.

«**قال الراوي**»، عبارة يحملها غلاف كل عدد؛ لتأتي بعده الحكاية التي يحكيها، وهي حكاية لا يبدعها **الراوي** من وحي خياله، وإنما ينسجها من تلك الحكايات التي يضمها العدد. لا يدخل **الراوي** إلى أعماق القصص، وإنما يقف عند عناوينها، فيحولها من حكايات عديدة متشعبة، إلى حكاية واحدة متآلفة.

فـي هذا العـدد ، يجد القـارئ حكـايـة **الراوي**. وهي نسـيج من ستة عشر عنواناً من عناوين القصص التـي يضـمهـا العدد. وهذا دأب **الراوي** منذ العدد الـثـانـي. غـيـر أنـه فـي كـل عـدد يـخـتـار عـدداً مـن العـنـاويـن الـتـي تـتـنـاسـب مع الحكـايـة الـتـي يريـد أن يرويها لقرائه.

يـقدم الـتحرير هذا البيـان، لورود تـساؤلات عـن العلاقـة بين حكاية **الراوي** فـي غلاف العدد ، وتلك القصص اتي يحويها في داخله.

نـقـدر الإبداع، ونـشـكـر المتـواصلـين معـنـا مـن المبدعين والمبدعات، ونحن أكثر طموحاً لتواصل أكبر. والله الموفق.

رئيس التحرير

راوي العدد:

زيد مطيع دمّاج

- ولد زيد مطيع دمّاج عام 1943م، في عزلة النقيلين، ناحية السياني، لواء إب.
- تلقى تعليمه الأولي في المعلامة (الكتّاب) مع أقرانه في القرية فحفظ القرآن الكريم وبعد ذلك تولى والده عملية تعليمه وتثقيفه من مكتبته الخاصة التي عاد بها من عدن فقرأ كتب الأدب والتاريخ والسياسة وكان من أهمها (روايات الإسلام) لجرجي زيدان.
- ألحقه والده بالمدرسة الأحمدية في تعز وحصل فيها على الشهادة الابتدائية سنة 1957م.
- استطاع والده بواسطة صديق له إرساله إلى مصر عام 1958م فحصل على الشهادة الإعدادية من مدينة (بني سويف) بصعيد مصر عام 1960م والشهادة الثانوية من مدرسة «المقاصد» بطنطا عام 1963.

- التحق بكلية الحقوق بجامعة القاهرة سنة 1964م لكنه تركها بعد سنتين والتحق بكلية الآداب - قسم صحافة - بعد أن برز توجهه الأدبي.
- بدأ يكتب المقالات السياسية وبواكير أعماله القصصية في مجلة «اليمن الجديدة».
- في عام 1968م استدعاه والده إلى أرض الوطن، فغادر مصر إلى اليمن للمشاركة في العمل الوطني. ولم يكمل دراسته لظروف والده الصحية واعتكافه للعمل السياسي.
- تم انتخابه عضواً في مجلس الشورى أول برلمان منتخب في البلاد سنة 1970م عن ناحية السياني وكان رئيساً للجنة الثقافة والخدمات فيه.
- في 14 يناير 1972م رحل والده إلى مثواه الأخير، وكان لذلك أثر كبير في حياته الشخصية والأدبية والسياسية.
- في يناير 1976م عين محافظاً للواء المحويت وعضواً في مجلس الشعب لفترتين متتاليتين منذ عام 1979م.
- عين وزيراً مفوضاً وقائماً بالأعمال في دولة الكويت عام 1980م.
- في عام 1982م انتخب عضواً في اللجنة الدائمة للمؤتمر الشعبي العام ومقرراً للجنة السياسية فيه.

- عضو اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين - عضو اتحاد الأدباء والكتّاب العرب - عضو اتحاد كتاب آسيا وأفريقيا - سكرتير عام مجلس السلم والتضامن اليمني - عضو مجلس السلم العالمي.
- عين مستشاراً لوزير الخارجية ثم وزيراً مفوضاً في بريطانيا عام 1997م.
- صدر له:

1 - **طاهش الحوبان** - مجموعة قصصية صدرت عام 1973م. (ط 2 - 1979م)، (ط 3 - 1980).

2 - **العقرب** - مجموعة قصصية صدرت عام 1982م.

3 - **الرهينة** - رواية (صدرت عام 1984م عن دار الآداب في بيروت).

- ترجمت إلى الفرنسية عام 1991م عن دار EDIFRA.
- ترجمت إلى الإنجليزية عام 1994م عن دار INTERLINK BOOKS.
- ترجمت إلى الألمانية عام 1999م وتترجم حالياً إلى اللغات الروسية واليابانية والأسبانية.

– – اختيرت ضمن مشروع اليونسكو «كتاب في جريدة» عام 1998م.

في أوائل 2000م اختيرت من قبل الكتاب المصريين واحدة من أفضل مائة رواية عربية في القرن العشرين.

4 – **الجسر** – مجموعة قصصية عام 1986م.

5 – **أحزان البنت مياسة** – مجموعة قصصية صدرت عام 1990م.

6 – **الانبهار والدهشة** – كتاب سردي من الذاكرة صدر عام 2000م.

7 – **المدفع الأصفر** – مجموعة قصصية (تحت الطبع).

8 – **المدرسة الأحمدية** – رواية (تحت الطبع).

إلى جانب عدد كبير من المقالات السياسية والاجتماعية التي نشرت في الصحف والمجلات المحلية والعربية.

– في 20 مارس 2000م وافته المنية في المستشفى الجامعي MIDDLESEX في لندن عن عمر ناهز السبعة والخمسين عاماً.

يقول **زيد مطيع دماج:**

كانت أول مجموعة لي هي (طاهش الحوبان) التي كان الفضل الكبير في ظهورها للأستاذ عبدالعزيز المقالح الذي قدم لها ودفعها إلى مطبعة الهناء وخرجت إلى الوجود، ثم مجموعة (العقرب) ثم

رواية (الرهينة) ثم مجموعة (الجسر) وأخيراً مجموعة (أحزان البنت مياسة).

تأثرت في طفولتي «بالسماءة» أي الحكاية التي كانت عماتي وخالاتي يقصصنها علي قبل نومي وكلها حكايات وقصص تراثية يمنية بحتة أو عربية عامة، بعضها من ألف ليلة وليلة وكليلة ودمنة والزير سالم وسيف بن ذي يزن والهلالي وأساطير وهب بن منبه ورأس الغول ومياسة والمقداد والجن والعفاريت والصياد وأم الصبيان وجارية البيت... إلخ.

قضية التأثر ليست واردة عندي فأنا لي عالمي الخاص وتأثري يعود إل ذاكرتي المختزنة منذ الطفولة حكايات لا حصر لها في تراثنا اليمني الشعبي.. وإنما يشرفني جداً جداً أن يقال بأنني تأثرت بالمرحوم الشهيد محمد عبدالولي.

شهادات

(1)

تميزت قصص زيد دماج ليس لأنها من النوع الذي يرسم ملامح البيئة وتضاريس الهم العام والمباشر وحسب، وإنما لأنه يحرص كذلك على اختيار شخصياته من الوسط الشعبي العام وإعطاء دقائق حياتهم النفسية والاجتماعية بعداً واقعياً واضحاً مهما شاب ذلك الجهد من تبسيط. وهذا التمييز والخصوصية في التقاط الشخصيات وتناول الأحداث وكيفية التعامل مع هذه الشخصيات والأحداث هو الذي أعطى لمجموعة «طاهش الحوبان» نكهة محلية وملمحاً وطنياً متميزاً.

وزيد مطيع دماج في مجموعته الثانية يُواصل البحث ربما أكثر مما كان في المجموعة الأولى، وذلك عن المعادلة الصعبة التي سوف تقود إلى كتابة القصة

القصيرة المعاصرة التي يتلاحم الفن والحياة في نسيجها كما يتلاحمان في الواقع نفسه عندما يتخلص هذا الواقع من عناصر التشويه والإفساد.

السؤال التقليدي الذي يرافق ظهور أي عمل جديد لأي كاتب أو شاعر هو: ما الذي أضافه هذا العمل إلى سابقه، وما نوع التجاوز الذي حققه؟ وهو نفس السؤال الذي يتردد عندما تصبح هذه المجموعة بين يدي القارئ. وقبل الإجابة على نفس السؤال تجدر الإشارة إلى أن كل قاص يبدأ عادة كتابته للقصة وفي ذهنه الحكايات أو «الحواديت» والأساطير التي يسمعها عن طريق الجدات، والأمهات وعجائز الحي أو القرية ومهما كان حظه من التحصيل الثقافي، فإنه يظل متأثراً إلى حد كبير بذلك العالم القادم من الطفولة، والذي لا يمكن التخلص منه منذ المحاولات الأولى. لكنه عن طريق الممارسة، ومع اقترابه من أشكال الواقع السياسي والثقافي ومتابعته للأنماط الأدبية المختلفة يتيقظ وعيه الفني ويبدأ في التخلص تدريجياً من قبضة الأساليب التعبيرية الخاضعة لفن الحكاية والأسطورة. وتقوده قدراته الفنية نحو

الأحدث والأرقى والأكثر استيعاباً للواقع من أشكال التعبير، وتيارات التجربة القصصية المعاصرة.

وفيما يتعلق بزيد مطيع أستطيع أن أدلل على أن قصة «ليل الجبل» مثلاً، وهي واحدة من قصص مجموعته الأولى «طاهش الحوبان» قد كانت واحدة من القصص التي يتوهج فيها أسلوب الحكاية، وفي المجموعة الجديدة قصة أخرى تمت بصلة القربى إلى نفس الأسلوب، وهي قصة «الحياة». وزمن كتابتها هو زمن كتابة أغلب قصص المجموعة الأولى. أما بقية قصص المجموعة الجديدة ومعظم قصص المجموعة الأولى فقد تخلصت نهائياً من أساليب الحكي القديم - إذا جاز التعبير -، وزاد وضوح الاتجاه الواقعي التحليلي فيما يكتبه من أقاصيص سواء هذه المنشورة في هذه المجموعة أو تلك التي لم يعدها للنشر بعد.

وإذا كنا قد أشرنا إلى قضية الاتجاهات الفنية فإنه من الضروري التأكيد على أن زيد مطيع قاص غير مهتم بمتابعة الأشكال أو الانبهار بأساليب التعبير القائمة على تيار الوعي أو اللاوعي، لأنه

مـشـغـول بما هو أهـم، مـشـغـول بـتـقـديم صـورة الـواقـع الاجـتـمـاعـي والـسـيـاسـي مـن خـلال شـخـوص واقـعـيـة، ومـشـغـول برصـد إيقـاع الحيـاة المتطـورة سلباً وإيـجاباً. وهذه المهـمـة تجعـلـه يبـتـعـد عـن كـل مـا يـبـدد مـلامـح الرؤيـة، ويفـتـت العـلاقـة بين فـن الـقـصـة، وأبـعـاد الـواقـع ومـعـطـيـاتـه. ومـاتـزال المفـاجـأة الـتـي سـادت قـصـص الـواقـعـيين فـي خـمـسـيـنـات وسـتـيـنـات هذا الـقـرن عـنـصـراً هاماً من الـعـنـاصر الفنـيـة البـارزة في قـصـص زيـد، وهـي تبدو أوضح ما تكون في قصصه القصيرة جداً كما في «العـقـرب»، و«البـغـلـة»، و«هـاي هـتـلـر». ويـبـرز دور الـرمـز فـي مـعـظـم قـصـص المجـمـوعـة الجـديـدة، ويـصـل ذروته في قـصـتـي «فـتـاة مـدبرة»، و«العـقـرب» وتـشـكـل «الرحلة»، و«أول المنتحريـن»، وهـمـا أطـول قـصـتين في المجموعة نواة عملين روائيين شاء لهما إيقاع الحاضر الـسـريـع أن يـكـونـا ضـمـن هـذه المجـمـوعـة مـن الـقـصـص الـقـصـيـرة.

د. عبدالعزيز المقالح

(2)

زيد مطيع دماج يستوحي في بعض قصصه جو الفروسية العربية القديمة، وهو لا يرتفع بتلك القصص إلى أجواء فلسفية ووجهات نظر معاصرة، ولكنه يجعلنا نعايش ذلك الجو، ويصف لحظة اللقاء بدقة، إنه لا يعتمد كثيراً على ما يسمونه العقدة والذروة والحل، بل يعتمد على الوصف والحوار واقتناص الأحداث الجانبية والمتفرقة والتي تتآزر لتجسيد الجو والإحساس به.

فقصته «ليل الجبل» تتشابه مع القصة التي رددتها المصادر العربية القديمة عن أعرابي كانت تأتيه محبوبته كل مساء ولا تخشى الغيظة والأسد الذي يربض فيها، وذات مساء لم تأت فعرف الأعرابي أن الأسد قد افترسها وامتشق حسامه ثم عاد بالأسد محمولاً على كتفيه وهو ينشد الشعر في رثاء

حبيبته. وكذلك قصة زيد تتحدث عن لبؤة تربض في مكان فلا يجرؤ أحد على المرور به مساء، وفي يوم أتى شاب يحمل بريد الملكة أروى، فصمم على اقتحام هذا المكان ولم يستمع إلى تحذيرات صاحب «المتهاية» ولا لنظرات ابنته المتوسلة، فصرعته اللبؤة، وبعد مدة أتى أبوه يبحث عن ابنه وحين عرف حكايته امتشق سيفه وهو يغلي من الغضب وذهب إلى اللبؤة فقتلها «وبدأ الناس منذ تلك الليلة يصعدون الجبل ليلاً».

وقصة «طاهش الحوبان» حدثت بالفعل، والمؤلف لم يرتفع بها كثيراً أو يحملها وجهة نظره، فيجعل من الطاهش ساعة المواجهة رمزاً للرعب... أو أي شيء آخر، كما نرى في قصة «مريم» التي تمثل جو المطاردة والرعب في حياة عجوز وحيدة، ثم انبثق لها فجأة - أو هكذا جسد لها شعورها - فتاة قلبت حياتها رأساً على عقب. ولكن قدرات زيد تظهر في تجسيد لحظة اللقاء. وفي تصوير الصراع الذي دار بين الإنسان والحيوان وانتهى بانتصار الإنسان، وفي ذلك الجو

العربي الأصيل الذي يذكرنا بليالي الفرسان القديمة «اتجه النقيب نحو قاع الجند وكان الليل قد انتصف وأرسل القمر أشعته البيضاء الفضية من خلال السحب راكضة نحو قمم الجبال الشاهقة والقاع من حولها ملأته السكينة والصمت الذي لا يقطعه غير عواء ذئب أو نقيق بومة، وحوافر الفرس تدك الحصى وهو يقطع قاع الجند الكبير».

إن زيداً لا يفقد ذاته أبداً، وهو لا يجري لاهثاً وراء الأشكال الجديدة، إنه يشرق في قصصه ويغرب ولكن ليخدم الهدف، وهو يعتمد على شيئين، الوصف والحوار، والوصف عنده ليس مملاً بل يملؤه بالصور، ثم يقطعه بالحوار القصير الدال، والذي يستخدم فيه الفصحى استخداماً يدل على الواقع ولكنه لا يهبط إلى مجرد النقل فيه واستخدام ألفاظه الدارجة، إن كل ذلك يمكن أن نراه في ذلك المقطع من قصته «الذماري» باب اليمن يفتح في الصباح ويقفل في الغروب كسائر الأبواب المحيطة بصنعاء، رجل عادي شد انتباه الناس إليه ذقنه الحليق ولباسه الغريب ببنطلون وبلوفر، الغبار يعلوه وحقيبته الصغرى بيده،

دخل من باب اليمن ظهراً والغبار يختزم بشتى أنواع القشاش والجراثيم، سأل حارس الباب:

- سيدي.

- سيد الله ماذا تريد.

- أين أجد مطعماً أو فندقاً.

- لا أفهم ماذا تعني.

- مكاناً آكل فيه وأستريح وأنام.

- فهمت، سمسرة وردة داخل المدينة بجوار سوق الملح.

وزيد مرتبط بالبيئة وأحياناً ينتقدها ولا يرضى عنها ، ولكن بروح المنتمي لها والمتمني وضعاً أفضل، ففي قصة «العسكري الذي ذبح الدجاجة» يتمنى زوال الإجراءات التعسفية التي لا يفهم الرعوي منها شيئاً، وفي قصة «العائد من البحر» يتمنى أن يزول الظلم حتى يعود الناس إلى أوطانهم ويحققوا أحلامهم، ومن هنا لم ينته به موقف الناقد المحب إلى السخط والهروب من الناس واللجوء إلى تجريديات لا

صلة لها بالواقع، بل انتهى به في قصصه الأخيرة إلى البحث عن الجوهر والكشف عن شخصية اليمن من خلال أحداث ومواقف تسلمه إلى أفكار لا تصطدم مع الواقع بل تنتزع منه، وقد تطور نحو ذلك تطوراً طبيعياً.

د. عبدالحميد إبراهيم

(3)

أحسـن الكاتب صنعاً عندما جعل عنوان قصة: «طاهش الحوبان» علماً يرفرف على مجموعته كلها. فالمجموعة يمنية أصيلة عنيت بتصوير البيئة اليمنية أصدق تصوير: همومها وأحلامها وأمانيها وجبالها ووديانها وحقولها ومياهها وصحاريها وحيوانها وقاتها وبنها فقرها ومقاهيها وأبنائها الفلاحين والمهاجرين ونقبائها وعمالها ومشايخها وعقلائها وروادعها وبيوتها القبلية المظلمة، والطاهش حيوان يمني أصيل، ربما لا يوجد في غير اليمن، وإن عرف التزاوج بين الأمم المختلفة من الحيوان في غيرها من البلدان. كتزاوج الفرس والحمار، والذئب والكلب.

كذلك فإنه يرمز لكل جبار عنيد، جثم على أرض اليمن السعيد محاولاً كتم أنفاسه، سواء في عهد الأئمة أو فيما سبقه من عهود. وفي القصة

إشارة ذات مغزى إلى عهد الترك. كما أن ولي العهد يتبع نفس أسلوب الطاهش في البطش. وفرائسه هم أحرار البلاد، ومن بينهم بطل هذه القصة: النقيب عبدالله بن صالح. الذي عاد إلى دياره بعد عام قضاه في «عدن» هارباً من وجه الإمام يحيى. وقد عاد على إثر عفو عام من الإمام عن مجموعة من الأحرار، لكنه كان يتوقع الشر في أي لحظة، ففي الغابة المظلمة لا يقيد عهد، ولا يفيد ميثاق، يقطعه أكلة اللحوم على أنفسهم لأكلة الأعشاب. وقد حاول ولي العهد أن يغدر به. فأرسل له رسولاً يطلب منه الحضور دون إبطاء، وتعمد ألا يكون الرسول أحد أفراد حرسه كي لا يفطن النقيب. ولما كان الوقت ليلاً، فقد خاف عليه أهله من الخديعة، و«ذكروه بما حدث لأحد أفراد أسرته التي دبرت له خديعة على يد الأتراك». ولكنه لم يحفل، رغم علمه المسبق بكافة أبعاد الخديعة. وأسرج حصانه واصطحب تابعه، ويمم وجهه شطر «تعز» لملاقاة ولي العهد. والالتقاء بالطاهش وقتله رمز لا يخفى على فطنة القارئ.

ورغم مضمون هذه القصة الثوري، فإن الكاتب

يظهر التابع بمظهر المهرج الجبان، بالمقابل مع سيده المناضل الشجاع. فعند مقهى على الطريق وقف التابع خائفاً من أن يستمر «سيده» في سيره، وأمامهم وادي الحوبان بوحشه الكاسر، وأخذ يرجوه أن يبيتا ليلتهما في المقهى. فنهر السيد تابعه بحدة فما كان منه إلا أن أطاع كارهاً لعلمه أن سيده لن يتورع عن قتله إذا علم بخوفه وقد اختاره من بين صفوة رجاله.

ويغفل الكاتب عن أن النقيب هنا لا يختلف عن ولي العهد. فكلاهما يقتل عند عدم إطاعة أوامره. ووفقاً لهذه النظرة، يصبح النقيب وولي العهد مجرد غريمين يتنازعان على السلطة للحكم بنفس الأسلوب،

الحـال - فـي تـنـقـلاتـهـا. وربما أدت دور المقـدمات الموسيقـيـة التـي تـصاحب ظهـور البـطل عـلى مـسـرح الأحداث، ففي «ليل الجبل» ينهض المقهوي على حافة المسطح ليمعن النظر في القادم المجهول، فيسمع «نغمات غنائية صادرة من ذلك القادم كأنما يسلي بها تـعـبـه مـن المشـي، وتـؤنـس وحـدتـه فـي الـطـريـق الكـئيـب».. ويـختـتـم الـكاتـب هذه الـقـصـة بمشـهـد مسرحي: فعندما يقتل الحاج صالح اللبؤة، يتجه صوب الصخرة التي كانت ترقد عليها وسيفه بيده» ومن فمه تعلو أنشودة حزينة يرثي بها ابنه». ويسدل الستار ومازالت أصداء الأنشودة الحزينة تتردد في أسماع النظارة الذي يلهبون أكفهم بالتصفيق. وبعد أن قتل النقيب الطاهش يتحرك نحو «تعز».. «وقد بدأ يشدو مغنيا»، والتابع يردد بعد ذلك»..

د. محمد محمود عبدالرازق

قصص مختارة
لراوي العدد

هاي هتلر

الشـارع الـتجاري المشـهور فـي العـاصمة يعـج بعشـرات الـسـيـارات المارقـة الـتـي لا تـتـرك مـتـنـفـساً لـلـرجـل الـعـادي الـذي يـريـد الـعـبـور مـن جـهـة إلـى أخرى... ازدحام مصطنع لا مبرر له.

وأرتال من سيارات الأجرة والخاصة، والحكومي، والجيش، والمعونة الفنية، ومكاتب المشاريع للدول الشقيقة.. والصديقة.. تمر دائماً..

هي، هي.. وقد تمر في اليوم عشرين مرة.. لم أستطع تفسير ذلك.. إلا أن الجميع يسيرون بلا هدف ويحتل الفراغ معظم أوقاتهم.

تجوال ومجابرات سامجة في الزيارات، ولقاءات حول أين يكون المقيل؟. بلا عمل.. الكل.. وشارعنا المشهور في العاصمة، هو الوحيد بشهرته، لأنه يحمل

اسم أشهر شهيد في الثورة... مزدحماً دائماً في الصباح، وحتى الظهر.. وقت تعاطي (القات)...

أكثر من حرص صاحبها.. شغوف بتعاطي مخلفات (الزبائن) من المشروبات الغازية.. كنت قد تعودت أن أتناول إفطاري في ساحة (البوفيه).. ولا أعرف سبباً لضيقي من تناول ذلك في منزلي..

عادة واستمرت.. ناديت بطلبي كالعادة (السندويتش) فأجابني العامل:

- وفنجان شاي باللبن كالعادة يا أستاذ.

هززت رأسي بالإيجاب، وقد رشفت فنجان القهوة الصباحي الذي يعيد الدفء إلى جسمي، ويعطيني الحق في إشعال سيجارة.. وبدأت أتصفح الصحيفة اليومية كالعادة.. أخبار استقبالية.. زيارات دائمة.. بعض مقالات ركيكة وجلة، وتقارير لبعض الوكالات العالمية.. المسموح بنشرها طبعاً..!

- أف.. لا يستطيعون اختيار العنوان المناسب للخبر..

نظرت إليه فوجدته قد مدَّ يده إليّ وبفمه سيجارة يريد إشعالها.. نفضت رماد سيجارتي

إنـه أحد (مجـانين) الشـارع المشـهـور.. لـكنـه أخفهـم وطأة علـينـا.. سابحاً فـي خيـاله ممعـناً فـي تفكيره الواضح من خلال تصرفاته وحركاته.

أشعث الشعر يكاد إهماله لنفسه أن يصبح زبالة في حارة منزوية تتجمع خلفه أينما تحرك قطعان من الذباب.

ثيـابه قد عثت... لا يوجد فيـها مكان إلا وقد مرقته نار سجائره بتلذذ لم أفهمه.

- إنه أحسن من يدخّن..

ابتسمت لقول جاري في المنضدة المجاورة..

يشعلها بطريقة جميلة ثم يمضغ دخانها كأنها قرص عسـل بلدي.. يحرص كل الحرص على أن لا يخرج دخانها من فمه إلا بالقدر الإجباري.

كـان دائـماً مثـار تسـاؤلي.. إنـه الـوحيـد الذي طغى على زملائه في استثارة اهتمامي نحوه.. سريع الحركة في كل شيء.. في عينيـه ومضات مجهولة قلقة كأنه يفكر في إنشاء دولة قوية.

يداه وراء ظهره دائماً.. بحركات عصبية تدق فجأة إحدى الماسات كيد زعيم عظيم انتهى من خطابه، وترتفع فجأة مستقيمة إلى الأمام لتحييه الجماهير المحتشدة التي يعلو هتافها قوياً تحية للزعيم القائد العابس الغارق إلى أذنيه في تصريف جيوشه في جميع المناطق الشاسعة..

كانت (البوفيه) تطل على الشارع ذي الاتجاهين اليمين واليسار، والدخول إليها بواسطة

وقف الزعيم، والقائد في مقدمة المنصة، ووقفنا خلفه. قواداً ووزراء، وضيوفاً، وقد تلألأت على أكتافنا الإشارات العسكرية النحاسية..

ورفع الزعيم القائد يده إلى الأمام باستقامة صارمة ودوت من جديد هتافات الجماهير الملتهبة، والهاتفة بحياته كزعيم وقائد للأمة.

بدأ العرض العسكري الخاص بالمناسبة.. أرتال من المدرعات (البرنز) ظلت تدكُّ شارعنا المشهور بالعاصمة دكا.

إنها مدرعات تمر لا حصر لها... تسير جنباً إلى جنب بصفوف متساوية وجنود يظهرون من فتحاتها العلوية يؤدون التحية العسكرية للزعيم القائد بثبات ونشوة للنصر...

هزّ منظرهم الزعيم القائد فجحظت عيناه بالدمع الذي بدأت قطراته تنساب بهدوء كأنها قطرات ندى تنتهي بدون لمسة منديل أو مسحة إصبع... وتعالت الهتافات من جديد بحياة الزعيم القائد تصمّ الآذان وتطغى على ضجيج المجنزرات.. كادت الأشجار

المجاورة تتهاوى تحت ضغط وتكاثف الجماهير وهتافاتهم...

الزعيم القائد مازالت يده اليمنى مستقيمة، ونظراته مازالت صارمة والدمع يطفح منها. وفجأة انهار الزعيم القائد بجسمه إلى الأمام، ويده اليمنى مازالت مستقيمة.

وارتمى كلوح خشبي على وجهه، وسيجارته بيده اليسرى مشتعلة حتى نهايتها، وقميصه الرث قد انزاح عن ساقين مشعرين..

ثلاث درجات من الأسمنت المبلط هشمت وجهه.. ولمست أنفه التراب.. تراب الحديقة المؤدي إلى (البوفيه).. وظلال الأشجار التي رعاها ذلك العسكري العجوز تظلله.. وتوقفت حركة المرور..

وهرعت شلل من الناس من مختلف الأشكال والألوان.. وعصفت الريح بالأشجار، حيث تدانت بفروعها حتى لمست الأرض.. نهضت من مقعدي بساحة (البوفيه) وقد أكملت تناول (السندويتش) مع الشاي واللبن كالمعتاد والصحيفة اليومية...

- لقد مات...!

- يا إلهي..!

- مات الزعيم..!

- مات اسماعيل الطيب..!

صنعاء 1975/12/12م

بائعة الذرة

صعقني من بعيد بريق عينيها وهي تقف في مدخل سوق «القات» تبيع كيزان الذرة (الرومي) المشوية..

صرت مشدوداً إليها بكل حواسي وبكل عواطفي المرهفة المشيدة من عالم الخيال الجميل المحبب.. الخيال الذي أشعر بأنه حياتي فإذا انقطع نبعه لا حياة لي بدونه..

تتقرفص على ناصية الشارع الرئيسي المؤدي إلى حارة القات.. في يدها اليمنى مروحة من سعف النخيل تمروح بها على الفحم ليشتعل ويدها اليسرى تقلب بأناملها كيزان الذرة..

العرق يتصبب من جبينها الفسيح وتنسكب بعض قطرات ندية من على خديها المحمرين الممتلئين بنضارة طرية مخضوبة بالفتنة الشهية..

- بكم؟

- بريال..

وتجتهد يدها اليمنى بالحركة تهب مروِّحة على النار وكيزان الذرة..

- بكم؟

- بريال ونصف..

- نعم؟

- ألا تراه؟ أخضر رغد.. شباب.. ممتلئ!

ويزداد نشاط يدها اليمنى بالمروحة على النار التي بدأت تصدر لهيباً تحت كيزان الذرة التي تقلبها على كل جانب.

- بكم..؟

- بريالين..

- بريالين...؟ صغير جداً!

- أرضعته أمه وهي واحمٌ..!

- لو عددت حباته لوجدت أن كل حبة بفلسين!

- وهل تعد الفلوس؟

- ولم لا أعدها ؟

- بخيل..!!

●●●

عشرات من نماذج البشر يسألونها فتجيب ويدفعون فتعطي كلاً حسب رغبته وذوقه..

●●●

كل يوم أسرق من الوقت سويعات لأجلس أمامها مباشرة إذا كان مزاجها رائقاً.. أو بجوارها أستمتع بحوارها اللاذع مع زبائنها الكثيرين..

فيها شموخ وكبرياء تكسر حدتهما مرونة محببة..

لقد اختارت مكاناً على الرصيف الرئيسي البارز للشارع الكبير على مدخل سوق القات المتفرع من الشارع الكبير..

يجلس بجوارها عن بعد بائع الفول الأخضر.. وبائع العتر (البسلة الخضراء).. والثالث بائع البلسن (العدس الأخضر)... وخلفهم جميعاً تعج سوق القات بعشرات ومئات من عشاق (التخزين)[1]..

رغـم أن (اللثـمـة)[2] تـغـطـي مـعـظـم وجـهـهـا فـلا يكـاد يظـهر منـه سوى العيـنين الـواسعـتين المكحولـتين (بـالأثـمد)[3].. فـقـد اسـتـطـعـت تحـديـد مـلامـح الجـمـال الذي تمتلكه من خلال إمعاني الدائم إليها منذ عشرات الأيام والأشهر ولعدة سنوات..

مـليـحة!؟ فـعلاً.. أتذكـر بأنـني في يـوم من أيـام عطلي الكثيرة كموظف.. بكرت بالحضور إلى مكانها قبـل أن تصل.. تربعت في مكـاني المعتـاد المواجه لـها مبـاشرة.. وقد تـوافد بائعو القات والخضروات الأخرى الرخيصة الثمن.. وكل قد تزاحم في موقعه.. وتشاجر بـعـضـهـم الـبـعـض كـالطـيـور الـغـاديـة إلـى أوكـارهـا.. كالذئاب المفترسة من حول ضحية في الخلاء..

كل يريد أن يستقر في الموقع المـناسب أو ينـهش من الجانب الرغد.

كان الشجار عنيفاً كما يحدث عـادة.. لكنه في الـنـهـايـة يـتـوقـف.. الـكـبـيـر يـفـرض إرادتـه والـصـغـيـر يـرضـخ.. بما قـدر لـه.. ولـديه أمـل فـي عـدالـة الـسـمـاء مستقبلاً..

كان موقع مكانها في الرصيف المكتظ هو الوحيد الخالي والذي لم يدر حوله الشجار.. لم يقترب أحد منهم نحوه... تحرسه وتحميه هالة ضخمة من عبق الماضي وأمل المستقبل..!! وأقبلت.. تهز الشارع.. على رأسها شوال كيزان الذرة وبيدها موقد من الفخار.. ومروحة مزركشة من سعف النخل.. وشوال صغير يضم عدداً من قطع الفحم..

بانت لي تماماً وهي تقترب من موقعها على الرصيف الرئيسي للشارع الكبير المنحني إلى سوق القات عند مدخل باب الحارة القديمة.. كأنها نخلة فارعَة أو جذع (طولقة)[4] ممتلئ أو غصن قات رغد.. أو فرع كرمة يمانية يانعة متلهفة أين تضع أطرافها اللاصقة.. (الستارة)[5] تلف جسمها ليبرز خصرها الريان.. وتهادت كسيل معربد وجلست وقد وضعت عنها الشوال والموقد وخيل إلي أنها لمحتني.. تأكد لي ذلك.. لأنني الوحيد الموجود على باب الحارة القابع على رصيف الشارع الكبير.. المقابل لموقعها من الجانب الآخر.. تفقدت أشياءها وما يحيط بها..

وكشرت بكلام حاد لتأخر بائع (العتر الأخضر) وبائع (البلسن) الأخضر وثالثهما بائع الفول الأخضر.. ونظرت إلي بحدة مشوبة بالقلق المتذمّر.. فأدركني شيء من الخوف.. وصلوا مسرعين بالتوالي.. محملين بشوالاتهم المليئة.. ارتاحت نفسيتها لحضورهم وإن لم تكن قد ارتاحت لوجودي كما خيّل إلي! سيدتي.. هذه البائعة الجميلة لكيزان الذرة تعرف أنني من زبائنها الكرام.. فلماذا لا ترتاح لوجودي؟

●●●

قلت بعدم مبالاة:

- بكم هذا ؟!

- غير مشوي!!؟

- أحبه هكذا.. غير مشوي..!

- بريالين..

دفعت لها القيمة إلى حجرها.. وأخذت كوز الذرة النيئ..

●●●

قالت لي في أحد الأيام.. وقد اعتبرته يوماً تعيساً:

- أكل قوتك كيزان الذرة؟

شعرت أنها تزيد من جراحي فوق ما كنت أتصوره.. فقلت:

- أقتات بجانبها شيئاً آخر.. أهم!!

- كلام...!

أقسمت بأغلظ الأيمان في سريرة نفسي بأن لا أعود إليها مرة أخرى ولن أشتري منها أي كوز ذرة.. بل لن أمرّ من مكانها ومن باب هذه الحارة وسوق القات... وهذا الشارع... ففي المدينة أكثر من مكان.

●●●

كان يوماً شبه مطير.. احتميت منه بمظلتي الصغيرة السوداء وأنا أتجه صوب مكاني المعتاد.. محتاراً كيف انفكت المظلة بطريقة سريعة سحرية بمجرد أن ضغطت على زر خاص في ذراعها.. وقلت لنفسي (سبحان مسير الغمام)!!

كانت قد ركبت مظلة كبيرة زاهية الألوان.. تذكرني بمظلات شواطئ الإفرنج.. في بلادهم التي منحها الله بسخاء وطيبة نفس كل مباهج الحياة.. وحرمنا منها لأننا متخلفون.. هكذا كما خيل لي..!

كانت المظلة تحميها وتحمي النار وكيزان الذرة.. وتحمي بعض من يتبعها..

كانت عابسة.. وفي حركاتها عصبية واضحة بسبب هطول مثل هذا الرذاذ من المطر.. ولعلمها بأن الناس لابد أن يشتروا القات تحت كل الظروف الجوية السيئة.. وسيهرعون لتحقيق ذلك وبسرعة ولن يعرجوا نحوها مطلقاً.

مدت إلي بأحد كيزان الذرة المشوي.. ومددت لها بورقة نقدية كبيرة فاعتذرت بعدم وجود صرف لها.. فحاولت إعادة الكوز لها.. لكنها زمجرت، كنت الوحيد على ما يبدو الذي يقبع بجوارها أقضم كوز الذرة..

تأملت يديها المشغولتين.. كانتا مخضبتين بالحنان وبأشكال فاتنة مغرية ذات خطوط متعرجة

بالخضاب الأسود وبشكل هندسي غاية في الإبداع... وعلى المعصم أساور من ذهب.. دقيقة ورقيقة.. تلمع منسجمة مع الخواتم التي يخنق بعضها أناملها البضة..

●●●

التصقت بجوارها في أحد أيام الشتاء.. ولذعة حرارة موقدها يدفئ وجهي وأطرافي..

قالت كأنها تريد أن تستشيرني:

- كم أتوق لبيع القات بدلاً.. عن هذا!!

صدمني كلامها.. فنظرت إلي وقد توقفت يدها عن المروحة..

- إني أعشق المغامرة..

لم أجد حجة مواتية أقولها سوى أن ممارسة بيع القات يحتاج إلى رأسمال كبير.. فقالت:

- قد دبرت ذلك..

- ستخسرين؟!

- ليس في بيع القات أي خسارة..

- ستخسرين أشياء أخرى أهم...!!

- من هذه الناحية.. لا تخفْ علي..!

- أخاف عليك من كل شيء.

- غزل جميل..!

- أجمل ما فيه أنني بين يديك.. على قارعة الطريق..!

- أي طريق؟؟!

- طريق.. طريق الحب..

- مبالغ أنت..!

- ومتكبرة أنت..

- أعود بالله من الكبر..

●●●

كانت قد دُفعت إلى بيع القات... عرفت ذلك فيما بعد.. وأن الذي أقنعها رجل بدين.. كبير الكرش.. له لحية سوداء مشذبة.. وعينان ناعستان تخفيان وراء نظارة شمسية سميكة الحجم.. يفرش

ومسخوني مستجدياً.. وينتابني مس من الخبال.. لكأن صوتها الرنان ينزلق برفق.. يحول الصدى إلى موسيقى ذات نغم حالم..

●●●

حاولت أن أنساها.. وأنسى الشارع الرئيسي والناصية ومدخل سوق القات.. وفي يوم من أيام الخريف، انزلقت بي قدماي إلى مدخل سوق القات.. شعرت بالحنين يغمرني مرة أخرى لمشاهدة ذلك الوجه القديم الذي كان يغريني.. وجدته..!

كانت تتربع في مؤخرة سيارة صغيرة تسد بها مدخل سوق القات..

- بكم؟

- بخمسين ريالاً.

- بالأمانة!؟

- قلد.. وتوكل على الله..

- بأربعين ريالاً...

- رأسمالها.

- اتقي الله؟!

- خراجك.!

كانت تقبض الثمن.. تربط القات بمشمعات من النيلون.. تجادل ولكن بلا ذوق ولا حياء.. كما كانت تجادل سابقاً.. لمحتني.. تصنعت عدم الاهتمام بوجودي البعيد عنها.. فرحلت.. لكنها جذبتني من الخلف وقد تجاوزت ناصية الشارع قائلة:

- إنني الآن أكثر استقراراً..

- هذا شيء عجيب!

- وما الداعي لتعجبك.. هذا؟

لم أجب فقالت:

- الجميع يثنون ويشيدون بقراري هذا!

- إلا أنا..!

●●●

بائع العتر الأخضر مازال كما هو.. والآخر بائع البلسن الأخضر رابض في مكانه وبجواره الثالث بائع الفول الأخضر..

اتجهت إليهم. وتسليت بأكل بعض ما لديهم..

كان موسم العم صالح بائع الفول الأخضر قد اقترب من النهاية..

أما علي نقيب الولد الساذج فمايزال يبيع البلسن الأخضر.. وبجواره الثالث الحاج (مشلي) بائع العتر الأخضر.. كادت أيامه تلفظ أنفاسها..

●●●

ارتاحت نفسي لفتاة أصغر احتلت مكان بائعة الذرة الأولى.. سيدتي هذه الفتاة الصغيرة الجديدة تبيع كيزان الذرة المشوية أيضاً.

ورغم جمالها الواضح وصغر سنها فإن الإقبال على الشراء منها مايزال نادراً.. ليس فيها حتى الآن أنوثة تلك المرأة التي صارت الآن تبيع القات.. ومع ذلك فقد صممت على أن أعشقها.. هذه الفتاة الصغيرة الجديدة.. وأرغمت نفسي على قبول تلك المخاطرة الجديدة..

صنعاء - 1982/6/3م

الهوامش

1) عشّاق التخزين: المخزنون بالقات بعد الظهر الذين يتزاحمون على شراء (القات).
2) اللثمة: الحجاب.
3) بالأثمد: الأثمد مسحوق معروف تكحل به العيون للزينة وربما للعلاج.
4) طولقة: شجرة عملاقة في اليمن يكثر تواجدها في الطرق العامة للقوافل وتعمر مئات السنين.
5) الستارة: قطعة من قماش مزركشة بالألوان تتسترّ بها نسوان اليمن.

الناسك

كان سكان الحارة يهابونه ويحترمونه.. ذلك الاحترام الخالي من الود.

لم يكن بالرجل الجائر القاسي أو من أصحاب النفوذ أو من أصحاب الحظوة عند ذوي السيف والصولجان..

كان أدقّ وصف له هو ما أطلقه عليه حكماء الحارة من الصالحين.. أنه ناسك في ديره أو زاويته أو تكيته.. وبعض المتحذلقين من سكان الحارة الذين انفتحوا على الجوار يقولون إنه مفكر وفيلسوف ينزوي في برجه العاجي.. بين أكوام من الكتب.. ربما كان بعضها مفيداً...!

هذا البرج أو الدير أو الزاوية أو التكيَّة الذي يقطنه الرجل.. غرفة على سطح إحدى بنايات الحارة..

يدبر أمر معيشته كمخلوقات الله مع قطته الأليفة التي أصبحت جزءاً من حياته..

- لا زوج له ولا ولد وربما لا أقارب له.. ماذا ينفعه في الحياة؟!

- أمثاله... يكونون بخلاء مقترين على أنفسهم..

كان يسمع مثل هذا الحوار وأكثر منه وهو يسير في أزقة الحارة.. ومع ذلك لم يتعرض لأي أذى.. الكل يحترمونه ويهابونه.. وبعضهم يتمنى أن يعيش حياته..!

- رغم ورعه الظاهر.. فإنه يكاد يقطر سماً..!

- تصور.. إن تصرفاته في بعض الأحيان تبدو.. سادية!

- لا حول ولا قوة إلاَّ بالله..! احكموا بالظاهر.. وما خفي فحكمه لله..

يسمع هذا الحوار أيضاً أثناء عودته من عمله الروتيني البسيط.. ومع ذلك فهنالك من يحنو عليه ويرنو بحب صادق نحوه..!

●●●

هـو.. ولـوع بـالـقـراءة والاطـلاع.. لـه إبـداعـات أدبية وفلسفيـة يقرأها الناس والمطلعون منهم ويودون معرفته.. وبالذات أصحاب الاهتمامات الإبداعية في مجـال الأدب والفـن والثـقـافـة والـفـلـسـفـة.. عـمـومـاً المستنيرون القلة التي تمثل واجهة الحضارة التقدمية الإنسانية السمحة..

مقلّ في ارتياده الأماكن العامة المشهورة التي يرتادها الأدباء وقليلو الأدب أيضاً..!

عَزوف عن الظهور الملمع حتى في عتمة الحارة وأغلبية سكانها أكثر سكان المدينة بساطة في الحياة والمعرفة.. ومن الذين منَّ الله عليهم ببسطة في الجهل..!

●●●

عنقه... ويحكم عليه بالموت.. لم يفزع كأرنب وجل.. كبرياء ابتسم وهو يرنو إلى الجموع الهادرة من على سطح البناية.

●●●

كان قد كتب في إحدى الصحف مقالاً عن الجنة وقال فيه ما معناه إن الحياة... قد تكون مملة وراكدة ولا طعم لها.. لأنها تفقد الإنسان الحركة واللذة في المشقة والجهد للوصول إلى طموحاته.. وقال فيه أيضاً: «إذا وفرت للإنسان كل رغباته بلا جهد فأي معنى لبقائه..!؟».. «إنه يفضل الحياة الأخرى التي لابد أن تدفعه فيها الحاجة للابتكار والاختراع.. كاختراع مكيف الهواء مثلاً ليخفف من وهج حرارة النار..!».

●●●

المال الذي يكسبه من عمله ينفقه في شراء الكتب والورق وأقلام الحبر وبعض الصحف والمجلات المتخصصة.. والنزر المتبقي ينفقه في أضيق الحدود على مطالب الحياة اليومية..

عاف السياسة وما يتصل بها.. بعد أن ذاق من أجلها مرارات الغربة وذل السجون والمعتقلات على أيدي زبانيتها.. كاد ذات مرة أن يفقد عقله المتزن الذي مازال في اعتقاده أنه فقده فعلاً وهو يمارس حياته اليومية الراهنة..

●●●

في فترة انتعاش الوطن حماسياً في كل المجالات والنواحي.. كان هو صوت الأمة.. وكان أحد معالم الوطن الشامخة.. أثرى المشاعر وألهب الوجدان بما يكتب وما يخطب وما يتحدث به للناس.. حتى وقع الوباء الذي عشعش في كل مكان..

ابتسم لوصول ذاكرته إلى تلك الفترة التي مضت وهو يهتز على كرسيه باسترخاء.. ورجلاه ممتدتان على صندوق خشبي قديم على سطح البناية.. ويداه مشبوكتا الأصابع وراء رأسه.. يستمع إلى صوت هادئ خافت كخفوت ليل المدينة لمقطوعة من سمفونية لبتهوڤن ينبعث من مسجله القديم العنيد.. وبجواره قطته الأليفة الوديعة الوفية المستسلمة ليده الدافئة في حنان..

- أسعدت مساءً.. بل أقول صباحاً فقد تجاوزت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل..

انتفض قائماً.. حاول إقفال المسجل.. لكن الزائر تودد إليه بأن يتركه مادام صوتاً خافتاً..

- عساك غير متألم من حشد هذا اليوم..؟!

ابتسم ولم يجب..

- تأكد أن أغلبهم لم يعوا ولم يريدوا أن يحدث ما حدث..

ابتسم مرة أخرى ولم يجب..

- تأكد أن معظمهم الآن في حالة تأنيب للضمير.. يحاولون التكفير عن عملهم..

دخل إلى غرفته وأحضر كوباً إضافياً لزائره ليشاركه ليلته أو صباحه..

صنعاء 1987/9/29

النــذر

تضرعت «للريمي» خادم الإمام المؤتمن:

- أقبِّل يديك وأبوس رجلك أن تُدخل طفلي هذا ليقرأ الإمام عليه الفاتحة، فقد مات عليَّ أطفال كُثرْ..

نظر إليها.. امرأة كغيرها من النساء اللواتي يترددن على بوابة قصر الإمام يطلبن دعاءه وقراءة القرآن على أبنائهن الرضع.. قدمت له خمسة ريالات فضية.. أخذها وأخذ الطفل الرضيع بين يديه.. تمتم وهو متجه نحو الإمام قائلاً لنفسه: «المبلغ كبير.. وسيقرأ مولانا عليه الفاتحة، قراءة حارة دون شك...».

●●●

دخل على الإمام... كان الإمام كعادته يداوم في فناء القصر مع كتبته الجالسين حوله القرفصاء... يجيبون على تظلمات الرعية ويحررون الرسائل والأوراق المختلفة.. والإمام يمضي بقلمه عليها ويضع

ختمه «...» ذا الحبر الأحمر زيادة للأهمية.. نظر الإمام نحو خادمه وسأله:

- هل هناك رعايا في الخارج..؟!

انحنى الخادم نحو أذن الإمام هامساً:

- إنهم هم.. كالعادة منذ العام الماضي..!

تململ الإمام فوق كرسيه الخشبي ثم قال متسائلاً:

- وما هذا بين يديك..!

- عفواً يا مولاي.. هذا طفل «مخلوق» تريد أمه أن أن تقرأوا عليه ما تيسر من القرآن العظيم وأن تدعو له بالصلاح..

تململ الإمام على كرسيه ثم قال:

- وماذا يا حمار..!؟

- خمسة ريالات فضية يا مولاي..

تهلل وجه الإمام بالفرحة وبدأ يقرأ بعضاً من آيات القرآن ثم... وكالعادة أخذ المال وذهب الخادم في حال سبيله ومعه الطفل ليرجعه إلى أمه..

●●●

بحث عنها كثيراً أمام باب القصر المصفَّد بالحديد والخشب والنحاس.. وسأل الحراس الغلاظ.. وزاحم «الرعايا» الذين يصيحون في الخارج والنساء المولولات يبحث ويسأل الجميع عنها لكن دون جدوى..

نظر بأسى نحو الطفل الذي بين يديه.. فلم تكن هذه هي المرة الأولى التي يحدث له مثل ذلك.. لكن كرم المرأة وسخاءها لم يكن متوقعاً..

●●●

عاد إلى الإمام.. يذرع ساحة القصر منكسر الجناح والطفل بين يديه.. لمحه الإمام فتهلل وجهه وقال كعادته:

- وما هذا بين يديك الآن..؟

تمهل قليلاً قبل أن يجيب..

- إنه يا مولاي.. نفس الطفل..

- ولماذا لم تعده إلى أمه أيها «البغل»..؟!

صاح الإمام في وجهه فارتعدت مفاصله...

- لـم أجدها يا مولاي..! بحثتُ عنها في كل مكان دون جدوى... فأعدته إليك..

غمغم الإمام وحدق خادمه بنظرة آمرة:

- خذه إلى بيتك.

اقترب الخادم وهمس قائلاً:

- كيف ذلك يا مولاي..؟! الخمسة ريالات فضة لكم وأنا لي الطفل..؟!

انتفض الإمام من على كرسيه الخشبي كديك رومي وانتفخت أوداجه غضباً واتجه إلى داخل القصر صائحاً:

- يالك من وغد.. أحمق..

حاول الخادم كالعادة إصلاح الشأن بالهروع إلى... سيده لتقبيله.. لكن الإمام رفسه بقدمه صائحاً..

- .. يا خبيث..

آكتون - لندن - ربيع 1996م

إبراهيم الناصر الحميدان

روائي من مواليد 1933 (السعودية). أصدر عدداً من المجموعات القصصية، منها «أمهاتنا والنضال» (1962)، «غدير البنات» (1977)، «نجمتان للمساء» (1998).

الإغواء

كان التحدي المثير يطل من مقلتيها، تلك المهرة العربية الحسناء (سالي) فقلت في نفسي بأن جمالها أغواهم عن بكرة أبيهم فصارت قبلة الأنظار، بيد أن الرجل على حق حين استشاط غضبه عندما لمس عصيانها.. إنه يريد منعها من الخروج من المنزل حتى لا ترتكب حماقة ربما قرأها في عينيها، فالجمال قد يكون سبباً في الشقاء طالما العيون الظمأى تتناهشه في أي مكان يمر به.. لقد رزقها الله تلك الفتنة

الطاغيـة فـأدى أن يبذر فـي محـيطـها تـلك الجـاذبيـة، إنـهـا تغـري بـسـهولـة مـن نـظـر إلـى رشـاقـة ذلك الجـسـد العاجي، فـحسدتها لذاتـها لأنها تلوي الأعـناق في أي محفل تخطر فيه لبساطتها وهدوئها العفوي، وكلما سارت فـي أي طريق عـامـة، حـاول أن يـسـتـعـمـل حـقـه عليـها عندما ترددت في الاسـتماع إلى نهيـه فرفع يده بصفعة على وجـهها الفاتن.. نظرت إليه شزراً بـدهشة واستغراب فتلك هي المرة الأولى الـتـي يعاقبـها بمثل هذه القسـوة.. قـلت لـهـا مـشـاكـسـاً ولـن يـكـون عـقـابـك للمرة الأخيرة طالما بذروا في نفسه مصيدة الشك أولئك المحيطين به. إنني بصراحة أتفهم ما يدور في ذهنه وهو يراك في مثل هذه الأناقة كما هي طلعتك البهية فأنت ببساطة تغوين أدهى الرجال.

تساءلت بعفويتها: إن الله منحني هذا التكوين فـمـا هو ذنبي؟ هززت بـرأسـي مـواسـيـاً فـالجمـال رداء رباني ولعل صاحبه يدفع ثمنه بالرغم منه.

العينـان العسليتـان الناعسـتـان فـي وسط ذلك الوجه النوراني الأبيض متشرباً وممزوجاً بالحمرة القانية ترسلان ذلك الألق الساحر ومن خلف الوجه البيضاوي

غابة الشعر الحريري الذهبي تنهال على ذلك الجيد الأتلع وفي أسفله رمانتان جاثمتان على ذلك الصدر المتوثب تخترق فضاء الجسد الممشوق وتموجان مع حركته الأنيقة، لم أرها (جارتي) تفتعل إيقاع الآخرين شأن الكواعب في حبائلها وقد يكون عدم احتفالها بتعاطي أدوات التجميل من أسباب تهافت الرجال على الحملقة في ملامح ذلك الوجه الملائكي. والرجل (الأب) يسمع همساً عن ذلك الكنز المثير في منزله فيتصور بأن الغمزات أو الهمهمات تعني انفلاتها عن رقابته فأراد في ساعة غضب أن يثبت سلطته حين أبصرها تنوي مغادرة المنزل.. وكانت أمها دون علمه قد أذنت لها فتصدى لمنعها وعندما أوضحت له بأنها ماضية لملاقاة صديقاتها بموافقة أمها رفع يده في وجهها صارخاً (أنا سيد المنزل) فرنّت على وجهها صفعة طائشة وكان من الطبيعي أن تنهمر دموعها ويختل توازنها إلى درجة الترنح من هول المفاجأة لولا أن أمها خفت إلى نجدتها (وكانت تنصت إلى نقاشهما) مهدأة ومخففة عنها وقع الألم.. بل إنها تدخلت لحماية ابنتها بكرية أبنائها من هذه

الغضبة من زوجها الرزين الذي أسمعها هي الأخرى شتيمة مهدداً بحكم موقعه في الأسرة بطردهما من المنزل.

قلت لها مواسياً ثقي بأن أحدهم أوغر صدره عليك فتقبلي هذه السحابة العابرة ولا تنسي بأنه رب الأسرة فمن حقه أن يستعمل سلطته في القمع طالما هو يخشى عليك من العيون الحاسدة نحو هذا التكوين الرباني الجذاب والذي تبزين به قريناتك.

تصاعد نشيجها معلقة: لم أفعل ما يريبه مني أو يلمس ما يسيء إليه والصداقة البريئة ليست محرمة في مجتمعنا، وانهمرت الدموع مدراراً وكأنما تتبرأ من هذا الامتياز الذي سوف يجعلها صيداً سهلاً للسهام التي تولغ في تصرفاتها المرنة مع أنها لم تفكر (بحكم سنها) بأن تنال نصيبها مما يتاح لمليحة في ربيعها التاسع عشر من الانطلاقة المحدودة في محيط ليس بالجائر في شكم الحرية وإن تبارت فيه تيارات متلاطمة ما بين مشجع لحرية الفتاة ومتبرم يخشى من انفلات التحكم في هذا الجيل المندفع لمحاكاة الشروخ عبر فضاء يموج بالهيجان الشبابي.

كفت عن البكاء ولكن آثار الحزن أدمت مكامن البهجة في أعماقها فانطوت شاردة حتى تحرك من جديد مشاعر يقظة تشجيها من هموم الواقع البائس لأسر حرمته الدنيا من مساحات العيش في بحبوحة ولهذا ترى التوتر يتلبس الكبار من الضيق لتسري خيوطه إلى أطراف الفاتنات فيشل تطلعاتهن وأوهام الغد المزري الذي لا يشي ببوارق تميد بالعتمة اللافحة ونبض العذارى يرتفع متواشجاً مع نداءات الزمن المتسارع نحو ربيع الحب في عالم تسوده المخاوف وتدميه الجروح.

محمد عبدالملك

من مواليد 1944 (البحرين). روائي أصدر عدداً من المجموعات القصصية، منها «موت صاحب العربة» (1973)، «نحن نحب الشمس» (1975)، «ثقوب في رئة المدينة» (1979)، «السياج» (1981)، «النهر يجري» (1984)، «رأس العروسة» (1987).

قاعة مظلمة

بالفعل كان الأمر يدعو إلى الارتباك، فالأضواء في القاعة انطفأت فجأة، وساد ظلام هائل، وارتفعت صيحات النساء من الخوف، واضطرب الرجال، وحاول كل منهم حماية زوجته من الحمقى... والمغامرين، لكن أين يجد كل رجل زوجته؟ لقد حدث هرج ومرج، ومن خوف الرجال على زوجاتهم راحوا يقبضون أكتاف النساء الأخريات، وازدادت الجلبة، فالأكتاف الملموسة... كانت للغير! وهكذا زعقت المرأة والأخرى

فهن يعرفن بالغريزة والحدس روائح الأزواج وعطورهم، وحجم أيديهم التي جاست وتنعمت... سنين، إذاك ازدادت صيحات الاستغاثة يا أبا حسن.. يا زوجي!.. يا راشد! كل امرأة كانت تنادي زوجها.. ومن يعلم ربما كان الزوج هو الذي طوقها للحماية، لكنه الخوف واضطراب النساء المفاجئ واختلاط المخيلة.. الفرقة توقفت عن العزف في المكان المرتفع من المسرح المخصص لها، والرقص توقف إثر ذلك.. وتناهبت الحاضرين المخاوف الخطيرة فقد تحدث اغتصابات في الظلام، وفي الظلام لا شيء يظهر، لا شيء يعرف، لا شيء يستقر، لا أحد يشعر بالأمان.. كانوا يبحثون عن الضوء.. مكان الضوء.. النقطة التي توقف مصيرهم جميعاً عليها، ولأنهم ليسوا من أهل المكان فقد كان من الصعب معرفة مركز الضوء.. والطريقة التي يستطيعون بها إعادة الضوء.. الأبواب أيضاً، أبواب القاعة كانت مقفلة، وفي الفوضى العامة سقطت المفاتيح كلها من يد ضابط القاعة.. القاعة الكبيرة التي كانت مبتهجة عندما كان الضوء كاسحاً، القاعة الراقصة السعيدة.. كنت تسمع

أصواتاً غاضبة، وخائفة، ومهددة في وقت واحد.. أصواتاً كلها، تذهب هباء لأن لا أحد يستجيب لا أحد يعرف، لا أحد يرى.. وكانت معظم الأصوات المستنجدة نسائية.. يا كلب!.. يا خسيس!.. يا حيوان! يا لص!.. يا.. أصوات نسائية فقدت رونقها وأنوثتها ومسحاتها السحرية، أصوات خائفة تليها جلبة وحركة، يعقبها سقوط أشخاص على أشخاص، وكؤوس على كؤوس، ومقاعد على أشخاص، والعكس.. العكس هو القاعدة، الآن، والصحيح كان الضوء الذي ينظم الحفل، ينظم حركة الراقصين، يسعف العازفين على العزف، ويسعد المغنين بالغناء، ويلتهم معه الآكلون الأطباق الشهية في لذة ويجترع الجميع الشراب، ويدوخون بأفكار مشعة.. في الضوء.. الضوء المشعشع يسود النظام، والأمان، والحب، والحيوية، وترتفع ضحكات جميلة، وهمسات، وهمسات، وتتضوع قبلات، وتسري روائح.. الروائح اختفت مع الخوف.. وظلت في القاعة روائح العرق... من الصيحات المذعورة الخجولة ظهرت جرائم اغتصاب.. فساتين مزقت.. تأوهات.. أعناق

اخترقتها أيدي.. عقود من الماس والذهب سحبت.. كنت تسمع الجلبة بشكل فوضوي هائل.. وكانت الأجساد الهاربة المغتصبة تبتعد، والأجساد السارقة تبتعد عن مكان الجريمة فتصطدم بأجساد أخرى.. سمعت أيضاً صرخات مؤلمة.. بكاء مهين.. سالت دماء أيضاً فوق سطح القاعة.. كانت هناك أنماط، وكان الشر يلعب بالرؤوس والنفوس، وكانت الحقائب تسحب بسرعة.. وسمعت أصوات مستنجدة تردد الصوت نفسه، والكلمة ذاتها..

- الضوء! الضوء! الضوء!

وأصوات..

- الأبواب! افتحوا الأبواب!

هل كانت خطة جهنمية مدبرة؟ لم الأبواب مغلقة مع الأضواء؟ لم ضاعت المفاتيح؟ أين ضباط أمن القاعة؟ ماذا يفعلون؟ كان الراقصون السعداء قبل قليل يستنجدون بضباط القاعة..

- أيها الضباط! أيها.. أي.. لكن لا إجابة وتغيب

الأصوات بين صيحات الهلع، والانتهاكات الجمة، والسرقات المتكررة..

- أين الأبواب؟

لقد أضاعوا كل شيء.. وضربوا الجدران، وعادوا يبحثون عن بعضهم البعض، النساء تساقطن على الأرض من الجهد والذعر والمفاجئة.. حدث دهس كثير.. حدثت وفيات لا أحد يعرفها.. كانوا يبحثون عن بعض في كل القاعة.. علي.. أحمد.. هيفاء.. فاتن.. بهاء.. ليلى.. أين أنت! والأصوات ذاتها تتكرر.. الأصوات التي كان مبحوث عنها راحت هي بدورها تصوت وتبحث.. الجلبة زادت.. والظلام خيم، والكؤوس والزجاجات تساقطت فوق الأرض.. كأن ثمة أطفالاً في القاعة دهسوا في الوهلة الأولى.. بعد دقائق توقفت أصواتهم عن الاستنجاد.. ومع صيحات النساء المستنجدة تلاحم الرجال.. لكمات استقبلتها لكمات، أصحابها تلقوا لكمات من جهة مخطوء عليها.. جهة بدأت تخطئ بدورها.. وتضرب الأبرياء.. الأبرياء ضاعوا في هذا الظلام، وراحوا يكيلون الضرب للأبرياء.. تحولوا جميعاً إلى وحوش

ضارية.. الوحوش الأولى تحركت بدافع السرقة... الوحوش التالية تحركت بدافع الدفاع عن النفس.. لم تكن الأمور واضحة.. كانوا يخبطون بعضاً.. الزوج يخبط زوجته، والأخ يلكم أخته.. والأب يطحن طفله في الأرض.. والأخت تركل أختها.. لقد عمت فوضى مميتة.. وحدثت جلبة متصاعدة، وتفجرت دماء مرة مالحة.. وعربدت أصوات ماجنة من اللذة والفجور.. وكانت الأصوات لا تتوقف.. أصوات الحائرين والأبرياء والطيبين..

- الضوء! الضوء!

- لم يأت الضوء..

كانت الأصوات المجهولة تتردد وتضيع وسط ضجيج الزجاج المتكسر، والزعيق المطلق..

- هل توقف الضوء من الخارج؟

- لا ندري..

- هل توقف الضوء من الداخل؟

- لا ندري..

- أصلحوا الضوء؟

- لا أحد يستطيع أن يصل إلى مكان الخلل..

- الظلام يخفي المكان..

وإن وصلوا كيف يصلحون العطب؟

- من المهم أن نعرف مكان الخلل؟

هل هو الخط العام في المنطقة؟ مكان التوليد الرئيسي؟ أسلاك القاعة..؟ لا أحد يعرف.. لا أحد يسأل، لا أحد يستطيع أن يسعى.. الأمر استمر ساعات طويلة.. ساعات أطول مما يتصورون، كانوا يعتقدون أنها لم تكن إلا ثواني قليلة.. لكن الظلام طال.. وبدأت الأبدان المجهدة المنهارة تخور وتنهار.. وسمعت أصوات تساقطها على الأرض.. على الأرض المليئة بالجثث، والمليئة بالزجاج الحاد، أنصاف القوارير.. والدماء.. خارت الأجساد فوق الأجساد، أغمي على النساء.. أغمي على الرجال، كانت الأصوات تخبو.. كانت الأصوات تخفت.. كانت الأنفاس تهبط، وبدا أن كل شيء، كل مخلوق قد مات أو نام!

فاطمة يوسف العلي

من مواليد 1953 *(الكويت). روائية، أصدرت مجموعتين قصصيتين: «دماء على وجه القمر»* (1981)، *و«وجهها وطن»* (1995).

فتاة وحيدة

هبت نسمة خاطفة من النافذة الغربية.. طارت ورقة من زهرة ذابلة نسيت في مكانها من المزهرية المهملة لثلاثة أيام.. ورقة أخرى تدحرجت على الرخام الداكن، تابعت عيناها الورقة التي اصطدمت بخاتم ذهبي يلمع في وسطه فص ألماس يلمع في حجم حبة الحمص.. إنه خاتم أمها المرحومة.. ما الظروف التي جعلتها تتركه في هذا المكان؟ ما المناسبة التي اشترت فيها هذا الخاتم؟ ما الحالات التي أحاط فيها هذا الخاتم إصبع المرحومة؟

تنهدت بحرقة، تخيلت وجه أمها المورد الجميل في ساعات رضاها القليلة النادرة، حين كانت تناديها طيوبتي، زحفت صورة أخرى لذات الوجه في ساعات الغضب الكثيرة، كان أنفها يبدو كالسكين، وأسنانها كالمنشار، وهي تصرخ في وجهها: أنت يا النحسة.. يومك مثل وجهك يا طيبوه، يا لها من ذكريات قديمة، ولكن كيف صار هذا الوجه الآن؟ ما الصورة التي وصل إليها بعد ثلاثة أيام في القبر؟ شعرت بالإثم.. بالخوف، عجبت لجرأة خيالها.. عجبت أكثر لحالة «الفلسفة» التي استوقفت فكرها حول خاتم الألماس، رشفت الرشفة الأخيرة من فنجان القهوة، ألقت بصرها في حجرها وتساءلت بحزن: هل يحاسبنا الله على أمنية، أو خاطر شيطاني لم ينطق به اللسان؟ لم تستطع إبعاد السؤال عن عقلها، فكرت أن تسأل الشيخ خالد المذكور وهو من العلماء، لكنها خافت أن ينظر إليها على أنها شريرة، فتكون بداية للقيل والقال. فكرت أن تكتب بالموضوع إلى البرامج الدينية في الإذاعة أو التلفزيون.. إنها بحاجة إلى الطمأنينة.. بحاجة إلى الشعور بالبراءة من دم أمها،

وأن هذه الأمنية الشريرة ليست هي السبب في موتها..

ضغطت الجرس، جاءت الفلبينية بفنجان القهوة، ارتشفت الوجه الرغوي الدسم وأشعلت سيجارة، نفثت الدخان الذي انطلق كسهم راح يتبدد بعد قليل.. لم يعد عندها من يتضايق من تدخينها، أو من يشفق عليها، أو من يشعرها بأنها لا تهمه في شيء، هي الآن حرة.. وحيدة.. ضائعة.. لا تعرف هل تحزن، وما هي درجة الحزن التي تليق بها. لكنها لا يمكن أن تفرح.. إنها إذا فرحت ستكون فتاة شريرة بحق!! مرت كلمة «فتاة» بخيالها غريبة، قلقة.. مريبة، مثل من ترتدي ثوب السهرة وهي تشرب شاي الضحى.. مع هذا احتضنت الكلمة بشوق، إنها ذكرى والدها، لا تستطيع أن تتخيله في وضعية الموت، ولا تعتقد أبداً أن الأيام الثلاثة التي مرت على رحيله يمكن أن تؤثر على ملامحه، أطل على خيالها بوجهه الأسمر المستدير، ولحيته الصغيرة المحببة، رأته واقفاً أمامها يبتسم حتى ظهر سنه المكسورة في وسط فمه، دفع بطرف الغترة وراء كتفه وهو يحملها بين يديه، يقبلها

يقول: طيبة فتاتي الوحيدة، يدور بها في الليوان القديم، يحملها إلى الدوارف والمراجيح في العيد، وحين جاء زمان لم يعد يستطيع أن يحملها، ولا يتسع وقته لصحبتها احتفظ لها باللقب فتاتي الوحيدة، هو الابتسامة السعيدة، لم يغير شيئاً، رغم حظها المتعثر، لو كان الأمر بيده لاشترى لها زوجاً مهما غلا ثمنه، وقد شعرت أحياناً أنه يحاول شراء زوج، ولكن المرحومة، الله يسامحها، كانت تفسد كل شيء وبقيت فتاته الوحيدة.. وحيدة، حتى بلغت الثلاثين.. كيف حدث هذا؟

ولكن مهلاً.. فقد مات الوالد في نفس حادثة السيارة مع الوالدة.. وهي لم تتمن له الموت أبداً، بالعكس.. كما كانت تشعر دائماً بأنه الذي يعيد إليها الحياة.. ويجعلها قادرة على احتمال «العنوسة» حين عرفت معنى هذه الكلمة، وعرفت أنها تنطبق عليها.. «عانس» حتى وأن تجنب الناس استعمال هذه الكلمة أمامها، تماماً كما يتجنبون ذكر العاهات في حضور من ابتلاهم الله بها.

التقت نظراتها مع بقايا السيجارة الممدة في

الطفاية وقد تحولت إلى عمود من الرماد الهش الذي تطاير مع هبة نسيم متسللة من ذات النافذة الغربية.. اكتشفت أن زهوراً كثيرة فقدت أوراقها وتعرت أو كاد، من تلك الهبة العابرة.. لم يبق منها غير أعواد جافة كالحة اللون، تعلوها دوائر منكمشة مثل الجماجم..

إن الله المطلع على أسرار القلوب وخفايا المشاعر يعرف أنها حملت أمها سبب عنوستها، وتمنت أن يريحها الله منها لتواجه حياتها من غير ضغوط، ولكن الله العادل لا يمكن أن «يسمع كلامها» لأنه يعرف الحقيقة، يعرف أن هذا الغضب يرتبط بمواقف كانت الأم فيها هي السبب في انصراف الخطّاب عن طلب يدها، كم من خاطب جاء.. جاء من أجلها هي.. أو من أجل والدها، المهم أنه يتقدم فعلاً، ولكنه بعد وقت لا يطول يتسرب كالرمل من بين الأصابع.. يتبخر.. كالماء في إبريق منسي فوق الغاز.. يختفي.. لا يترك كلمة.. لا يقدم سبباً، لا يذكر عذراً.. تنزعج.. تتلفت.. تبحث في الظروف فلا تجد أمامها غير أمها.

مرة أخرى تستحضر صورتها قبل مضي ثلاثة أيام.. كانت صبية.. فتية.. جميلة.. إلى آخر لحظة، لا تستبعد أنها في لحظة انقلاب السيارة كانت تطالع شعرها في المرآة، أو تجدد خيوط حاجبيها أو خطوط شفتيها.. هذا الشعر الذي ظل نارياً يتوهج رغم ظهور الشيب، وهاتان الشفتان الممتلئتان تلمعان طوال أربع وعشرين ساعة.. وهي طفلة حاولت تقليد أمها.. ضربتها، وقالت: أنت صغيرة على هذا، والبنت المهذبة تفعل ما يناسب عمرها، عندما استدار صدرها وردفاها سعت إلى اقتناء أدوات الزينة.. سخرت منها، في جملة قاطعة كحد السيف قالت: ما عندك سالفة، وجهك مثل صحن المموش وتحطين ماكياج؟! تشتغلين في السيرك إن شاء الله؟!

استقرت مرارة الكلام في حلقها، لم تبارحه أبداً حتى مع مرور خمسة عشر عاماً، كما استقرت الملامح القاسية المتهكمة في شبكية عينيها، فلا تجد من وجه الأم إلا تلك السخرية القاتلة.. حاولت أن «تصالح» أمها أن تقترب منها، أن تستعطفها وتقول لها: أنت أمي.. علميني كيف أتزين.. كيف أضع الماكياج،

كيف أختار الألوان والموديلات المناسبة.. ولكنها لم تستطع أن تنطق كلمة واحدة.. لقد ورثت كبرياء والدها. الكبرياء الصامت الثابت الذي لا ينحني، وفي المدرسة علموها أن «الأمومة» بطبيعتها تضحية، وحب وإيثار، وإن الأم بفطرتها تفضل ابنتها على نفسها، إن كل ما تشاهده في تصرفات أمها يصدم ما تتعلمه من الأمومة، كفرت بالتعليم وبالأمومة معاً، تعثرت خطواتها فلم تحصل على الثانوية إلا بعد تكرار الرسوب، وجاوزت العشرين حتى خجلت من دخول الجامعة مع بنات صغار، لا تستبعد أن ترسب بينهن فتكون أضحوكة هي في غنى عن أوجاعها، واعتزلت أمها ما أمكن، فعاشت في العلن على ابتسامة والدها، وفي السر على تدخين السجائر، وفي الأماني على انتظار الزوج الذي لابد سيأتي وتبدأ معه حياة جديدة.

إنها تذكرهم جميعاً.. أول خاطب، وثانٍ، وثالث.. ورابع.. ثم هبط الصمت ولايزال الصمت مقيماً معها، يسلي وحدتها بالشرود والخيالات، كان أول خاطب أخاً لزميلة لها، في أول مرة تقدمت

لامتحان الثانوية العامة، نجح ودخل الجامعة، وحصل على الشهادة الجامعية، وجاء يخطبها، حين نجحت لثالث مرة تقدمت للامتحان.. الوالد رحب به، وشجعه والأم قالت: هذا حافي ما يصلح، طمعان في مالنا، ولم يسألها أحد عن رأيها، الثاني رفضت الأم سماع بقية اسمه، قالت: وع.. بيسري؟!! هذا اللي ناقص.. ما أزوج الأصيلة لبيسري. قال الأب: كل الناس لآدم، وآدم من تراب، وهذا شاب ناجح ونجاحه يكفي، قالت بشراسة: نجاحه ما يحوله من بيسري لأصيل!! ولم يسألها أحد عن رأيها، وهي تعرف أن أمها بيسرية، وأن جمالها الملتهب هو الذي جعل والدها من العائلة الأصيلة يتزوجها ويحمله على السكوت على شراستها، وعجبت لماذا تتنكر أمها لأصلها، والمهم أن الخاطب اختفى مثخناً بالجراح، الثالث وصلت أخباره كإشاعة ولم يظهر، والرابع قالت الأم إن فرق السن كبير بينه وبين البنت.. وأشار الأب بأدب إلى أن طيبة نفسها بدأت تكبر، وقد يفوتها قطار الزواج، ولكن الأم ألقت عليه محاضرة عن

النصيب، وأن الله إذا أراد سيأتي الخاطب المناسب في دقيقة واحدة.

لم تعرف طيبة أبداً كيف يمكن أن يأتي خاطب في دقيقة لفتاة على أبواب العنوسة ليست جميلة، وليس لها سند من عطف الأم، وكل زادها في الحياة ابتسامة الوجه الطيب لأب مشغول بتجارته.. أو هارب من قسوة زوجته.. يحاول دائماً أن يقلل من فرص اللقاء معها، لأن كل لقاء ينتهي إلى صدام.

هكذا بدأ سؤال جديد يعترض حلقها، وينشر الضباب أمام عينيها.. كيف، ولماذا تزوج أبوها من أمها؟ وكيف، ولماذا يظل بعيداً عن حياة البنت ويتركها وحيدة، مكتفياً بهذا التشجيع الرمزي، الذي لا يحل مشاكلها الأساسية. في أزمة من أزماتها النفسية اعتقدت أن أمها تراهن على أمر خطير.. أن يموت هذا الأب، وهو أكبر منها سناً، ويبذل مجهوداً كبيراً في تثمير أمواله، وأن ترث هي شركاته وعماراته، وتظل تتحكم في هذه البنت «الخايبة» التي إذا تزوجت ستجد من يدافع عنها، ويطالب بحقوقها وربما يقف إلى جانب زوجها فيتقوى به؟

حين انتهت إلى هذا الاعتقاد كرهت أمها كرهاً عميقاً، وتعاطفت مع أبيها واعتقدت أنه ضحية، وأنه إذا مات سيكون بسبب كراهية هذه الأم له، ولها، وهنا تمنت أن يريحها الله من هذه الأم، فقد يأت الخاطب ويريح أباها منها، فقد ينصلح حاله، ويشعر بها أكثر فيبذل جهوداً تتجاوز مداعباته العابرة لفتاته الوحيدة، التي لا يبددها غير وجود زوج.. وأطفال، قبل فوات الأوان.

قبل الحادث بعدة أيام، وكانت في الصالة تقلب صفحات مجلة قديمة، رأت أن تطل على غرفة أمها، فرأت في جانب منها ما يشبه أن يكون حقيبة سفر صغيرة.. دفعها الملل، والفراغ، والشعور بالحصار أن تفتح.. كانت المفاجأة أن وجدت في الحقيبة قطعة واحدة من ثيابها الداخلية، قميصاً من قمصانها.. قمصان طيبة، عرفته لأن حجمه لا يناسب الأم وعلامته هي التي تحرص عليها، ولونه هي التي اختارته!! تركته على حاله، لم تفاتح أمها في الأمر. صباح اليوم التالي على مائدة الإفطار قال الأب لطيبة: سأذهب أنا والوالدة إلى موعد يستغرق طوال

اليوم تقريباً.. عندما نزلا لركوب السيارة كانت الحقيبة إياها في يد والدها.. هربت بعينيها عن ملاحقة الحقيقبة. ابتسمت الأم في وجهها إحدى ابتساماتها النادرة.. وقال الأب: أشوفك بخير يا فتاتي الوحيدة..

دل حادث السيارة على أنهما كانا في قرية بدوية على حدود قرية مجاورة، ذكر السائق الذي نجا، بجراح مهلكة أنهما قصدا عرافاً تداول الناس ذكر أعماله المؤثرة، وأنه لا يعرف ما جرى بينهما وبينه، ولم يجد المحقق في السيارة غير جثتين.. وحقيبة سفر.. فارغة.

تنهدت بحزن: هل يحاسبني الله على أمنية لم ينطق بها اللسان؟ اختلجت شفتاها بأمل: هل استفاد العراف من القميص وهل يمكن أن تنتهي يوماً حالة الفتاة الوحيدة؟!

همست بعطف وحسرة:

يرحمهما الله ويرحمني..

كان تراب السيجارة قد تطاير، ولم يبق غير

الفلتر في الطفاية، يحوس في جوانبها بفعل النسمة الهابة، أما أوراق الورد فكانت تتطاير بين أركان الغرفة الواسعة.

عمر طاهر زيلع

روائي. من مواليد 1946 *(السعودية). له مجموعة قصصية بعنوان «البيداء»* (1998).

طيور الرف

قررت الاختباء قبل أن ينهض أبي من نومه، فقد سمعته في المساء حينما كنت أنا أتظاهر بالنوم يدخل مع أمي في نقاش حاد بسببي.. قال لها:

- أكون غبياً لو توقعت منك حسن تربية الأولاد!!

- ردت أمي بنبرة الانكسار المعهودة فيها: ما الأمر؟ ما الذي يجعلك حاداً مهتاجاً هكذا؟

حاولت قدر الإمكان أن أجمد ساكناً.. لكن دقات قلبي تسارعت بصورة كادت تنم بي.

- لقد قلت لك ألف مرة: هذا الولد الشقي «يعنيني» لا يعود إلى تسلق سطح الغرفة «غرفته» فيزعجني بركضه وفرقعاته.. ألف مرة كررت هذا الكلام ولكن لا فائدة.

- يا ابن الحلال.. الولد ولدك ومن حقه أن يمرح في بيته.

- يمرح على أعصابي..؟

تصاعد صراخ أبي وازداد صوت أمي انكساراً وخنوعاً، وجن جنون قلبي فكتمت أنفاسي، وران صمت كئيب كدت أحس به وأراه يهوي بي إلى غير قرار.

فجأة تذكرت أن نهار الغد عطلة استثنائية في المدرسة، فقد تقرر خروج الناس بأطفالهم لصلاة الاستسقاء، وتذكرت أن أبي يفضل النوم ضحى، وقد حدث أن خرج الناس لصلاة الاستسقاء منذ شهور،

ولم يخرج معهم، هذه الخواطر الأخيرة أدخلت إلى نفسي قدراً من الأمان. هدأت أعصابي فغشيني النوم.. ومع إطلالة الشمس استيقظت وأكلت على عجل ومازلت بلباس البارحة، وتسللت إلى الحجرة المهجورة «لا أدري لماذا هي مهجورة» وهي تبدو كغيرها من حجرات بيتنا من الداخل والخارج، كان زوج من حمام الصحراء قد استقر على أحد رفوفها منذ فترة، كان في البداية يرتاع حين أدخل فجأة، ثم ما لبث أن ألفني وأنس بي حتى صار يطير من عشه ويستقر على كتفي، وكنت أرعاه حق الرعاية، ومع الأيام توطدت بيننا صداقة عميقة، وتكاثر عدد أصدقائي بفراخ صارت الآن حمام ذات لونين أزرق ورمادي مع أطواق بيضاء رائعة. كانت زيارتي هذا الصباح قصيرة، ثم خرجت للحاق بمواكب الابتهال.

«يا حنان.. يا منان.. من علينا بالأمطار».

وركضت صوب الضراعة الجماعية المولية شطر السهل الكبير جنوبي القرية.. شيئاً فشيئاً تكاثر الناس ومعهم أطفال كثيرون، انخرطوا في ذلك

الإيقاع المؤثر «اسقنا يا سايق المطر» والحق أنني رأيت عيوناً كثيرة تدمع، وحتى أنا سفحت دموع قلقي وتوجساتي، كنت أسير هاجسين: أحدهما يتمنى أن يكون أبي معهم فيبكي ويذيب الصدأ العالق بروحه الأصيلة، والآخر يرى في غيابه بعض الأمان.

«رأيت جدي لأمي» يمشي في وسط الموكب بخنوع ذكرني بانكسارات أمي نفسها ليلة البارحة «وقبلها مرات أخرى».

وبرق في أعماقي سؤال غريب: كيف لو رأى ضعف ابنته؟ انتزعني من أفكاري صوت أبح: أيها الناس استقيموا!! ثم تلا: ﴿**وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا**﴾، صدق الله العظيم.

مال طفل صغير يلبس سروالاً قصيراً على طفل يبدو أكبر منه سناً وقال له:

ما الطريقة؟

زجره زميله قائلاً: صه.. صه، ثم قال ملاطفاً: سنسأل الفقيه فيما بعد، وارتفع الابتهال متصاعداً من جديد.

«يا حنان.. يا منّان.. منّ علينا بالأمطار».

كانت الشمس قد ارتفعت مسافة رماح كثيرة ترسل شواظاً من نار، وغرق الناس في عرقهم.. وصار الرمل كقاع التنور الملتهب.. فلما بلغ الناس تلا يقع في أقصى جنوب السهل المحل.. استدار الفقيه ورفع رداءه وأخذ يتلوى ويقول كلاماً لم أتبينه، سمعت بعضه ولكني لم أفهمه، لكن الكبار كانوا بادي التأثر، حتى أن بعضهم راح ينتحب أمام عيوننا ، واختلطت دموع الناس بنضح أجسادهم، وداخلتني رهبة غاصت في أعماقي.. ورغم ركود الجو وانعدام النسمات منذ الصباح فقد أحسست بهبات رقيقة أخذت تزداد حتى صارت هبوباً متواصلاً.. أخذ يتعاظم ويتعاظم حتى أثار التراب، واحتدمت الآفاق بعاصفة راحت تحجب الشمس، ثم رأينا أسراباً من المزن الداكن بحواف بيضاء تتراكض من الغرب إلى الشرق، لم أستطع تفسير هذه التغيرات السريعة وكان الفقيه مايزال يقول شيئاً لكن الناس كانوا مشدودين إلى السماء يحمون عيونهم بأكفهم، وقد رفع الهبوب

القوي أرديتهم، ووخز الرمل سيقانهم وأذرعتهم، ولم يعد أحد يسمع الفقيه، لعله سكت عندما حن رعد ثم تتابع الدوي.. وأخذ ضوء النهار يتلاشى تحت خيمة من الغمام الراعد في جبروت. صار الهبوب دفقات ودوامات أقل عنفواناً وخيل إليّ أن الأرض تشع بنور غير مستمد من الشمس، وسمعت الناس يتنادون بالعودة في الوقت الذي أخذ فيه المطر يتساقط قطرات بحجم الكف، ثم انهمر الماء من السماء التي التقت بالأرض في مهرجان لم أشاهده من قبل، بصعوبة عثرت على جدي، تشبثت به ولعله هو أيضاً تشبث بي. كان بيته في وسط القرية فلم نصل إليه إلا عبر بحيرات وسيول من الماء. هناك وجدنا خالاتي وجدتي يكافحن لحماية أثاث البيت من خيوط الماء المنهمرة عبر تشققات السقوف. ساعدت جدي على الوصول إلى ركن أقل تعرضاً للرذاذ، فأصر أن أكون إلى جانبه، السماء في الخارج تلامس الأرض، وقد تعالى وقع الماء على الماء، وانكمش مجال الرؤية فلا تسمع إلا شلالاً بحجم الأفق. قفزت صورة أبوي،

خيل إليّ أن أمي زائغة القلب، عين على البيت وعين عليّ، أنا، وخامرني شعور لذيذ خفي لمجرد أنني أستحق الشفقة.

- «حوالينا ولا علينا». كذلك جأر جدي فتماوجت عيون الباقين هلعاً، لكن السماء أخذت تكف ككل شيء له بداية.. خرجنا على حذر نستطلع.. فإذا بالقرية كجذوع نخل في أطراف نهر جبار، والبرق يشطر الآفاق وثمة صفوف من السحب تتوغل في البعد، كنا في الحوش مأخوذين، فإذا بأمي تقتحم الباب الموارب، تدخل مبللة الثياب زائغة النظر حين رأتني انخرطت في البكاء ثم اتجهت إلى أبيها في الداخل تنتحب على فخذيه، سمعته يقول: كل

المـهجـورة لذنـا بـهـا.. قـلـت وقـلـبـي يـخـفـق هـلـعـاً.. والحمام؟

- أخرجه أبوك قسراً إلى العاصفة.

حسبي الله، والفراخ؟

لقد رمى بالعش كله إلى العراء.

سحبت نظراتي ثم أرسلتها إلى الأفق المنظور عبر فتحة الباب المبلل. كان البرق ينتشر في الأفق القصي خيوطاً لا تلبث أن تغور في البعد.

- قال جدي بنبرة مدارية سأحكي لك حكاية.

بـــدريـــة الـــبـــشـــر

(السعودية). أصدرت مجموعتين قصصيتين «نهاية اللعبة» (1992)، «مساء الأربعاء» (1994). مجموعتها الثالثة «أرواح شفافة» تحت الطبع.

بائعة الجرائد

منذ كنا صغيرات كنا نحب تقليد الصبية ولأن الصبية دائماً يهزؤون بنا ولا يحبون اللعب معنا فقد كنا نكتفي باقتفاء آثارهم واللعب ببقية ألعابهم. كنا ثلاث بنات منيرة وأسماء وأنا ميثاء. كنت أطولهم قامة وأكثرهم سمرة أما منيرة وأسماء فقد كانتا بلون الحنطة الفاتحة وجسداهما الممتلئان تقاطيعهما تفرتقا طيعها نحو الأنوثة المبكرة مما جعلهن يتعثران (بسيقانهما) القصيرة مع سباق جعلهم خطوي السريع

كنا نجمع إطارات السيارات الفارغة ثم نباعد بينها بأمتار ونركض من على بعد ثم نقفز عليها وفي كل مرة ننجح بالقفز نزيد المسافة في المرة الأخرى.

كنت أمل سريعاً من اللعب معهما وأتوق للعب مع الصبية فطلبت مرة من أخي أن ألعب معهم ويحق لهم أن يطبقوا قوانين لعبهم عليّ إلا أن أخي دفعني، اذهبي بعيداً اذهبي العبي مع البنات.

لم تكن كل ألعابهم تحتاج لقوة جسد كما في لعبة الورق المصور التي كانت تعتمد على الحظ فقد كانوا يصفون صوراً ملونة في أيديهم ثم يضعونها على قفاها ثم يطرحونها مرة أخرى على وجهها وعندما تتطابق صورتان يفوز اللاعب الأخير. كانت تلك الصور الملونة تحمل في الغالب صوراً لممثلين ومغنين من بلاد أجنبية لم نكن نعرفهم وكنا نفرق بينهم بعلاماتهم الفارقة فأحدهم يلبس قبعة الكاوبوي والآخر له سوالف طويلة عرفنا فيما بعد أنه ذلك المغني المشهور «ألفيس برسلي» الذي لم نعرفه إلا بعد عشر سنين من سنوات لعبنا ولأن الحظ هو سيد اللعب فقد كان حظي كبيراً حيث سمح لي أخي

بالاحتفاظ بعشرين صورة سلفني إياها لأبدأ اللعب معهم.

أخي عزوز كان طيباً يسحره اللعب فينسى أمر مراقبتي إلا أن أمي كانت تتعقبني دائماً من فتحة الباب الضيقة وتضبطني متلبسة باللعب مع الأولاد فتجرني وتمر بيد خفيفة على كتفي «عزوز» أو تفرد أصابها الخمسة في وجهه علامة للسخرية من رجولته التي لا تبشر بالخير وهو يرى أخته تتوسط الصبية وتفتح رجليها كالأولاد ويتركها تفعل ذلك والحقيقة إن رغبتي باللعب مع الأولاد كانت أمراً شاذاً فكل صديقاتي منيرة وحصة وأسماء لا يفضلن الاقتراب من الصبية وقد كانت دهشتي تتصاعد عندما تهمس لي إحداهن بالحذر من هؤلاء الصبية فلا أفهم بالضبط ما تعنيه.

وفي اليوم التالي وبعد مشادة قصيرة مع صديقاتي أطلقت الفتيات عليَّ لقب أم الأولاد فقررت في نفسي أن تلك واحدة من ألاعيب البنات ليغطين غيرتهن مني لأن إخوتهم يمنعوهن من اللعب معنا ولم

أنس فرحتهن ذلك اليوم وهن يركضن معي ويحصدن ريالات كثيرة وفرتها لنا لعبة بيع الجرائد التي قادنا إليها اقتفاء أثر الصبية.

كان ذلك في أحد أيام العطلة الصيفية حيث تنثرنا المدرسة للطرقات الضيقة ولوقت الصباح فيه طويل والظهيرة ساخنة والمساء يتكرر كالأماسي الماضية، عزوز أخذ عشرة ريالات من أمي «صباح أحد أيام عطلتنا الطويلة» وأعادها في اليوم التالي عشرين ريالاً، أعطى أمي عشرة ريالات واحتفظ هو بالعشرة ريالات الأخرى وأمي تبتسم له بفخر بل وشاركته بفرح وهي تحسب معه الريالات وكأنها تومئ بأنه سيصبح رجلاً يستحق الاحترام بل وأعفته من شراء الخبز في اليوم التالي.

وكنت أنا من خرج ذلك الصباح ليشتري الخبز حيث أن عزوز أصبح رجلاً كبيراً ومشغولاً ولم يعد ذلك الصبي الذي تجره أمي كل يوم من رجليه وتشتمه ليشتري خبز الفطور قبل أن يداهمنا آذان صلاة الجمعة الأول، لكنني عرفت ذلك اليوم سر عزوز.

حين خرجت من المخبز الذي يطل على الشارع العام رأيته هو «عزوز» يتأبط صحفاً كثيرة ويناول السيارات الواقفة أمام الإشارة المضيئة باللون الأحمر ويتنقل بين السيارات خفيفاً فرحاً كقط حتى يضيء اللون الآخر فيفر هارباً نحو الرصيف الأقرب إليه.

مشيت أقضم نصف الخبزة الأولى بين الخبزات الأربع التي أحملها وصدري ينتفخ فرحاً بالسر الذي عرفته وظللت هكذا أسبح في خيالات الغبطة حتى جرت يد أمي الخبز من يدي وهي تلطمني قائلة:

«أكلتي خبزنا ياالمفجوعة؟!!!!!!!».

كان في حارتنا في آخر الحارة بناية طويلة تطل على الشارع العام ومن الجانب الآخر تنفتح على قلب حارتنا شبابيك المطعم البخاري الذي لا يقدم غير الأرز والدجاج المشوي لزبائنه ويسمع المار بها نداء العاملين «الحضارمة»، يتجاوبون مع بعضهم البعض داخل المطعم:

.... «أيوه جاي... حاضر يا عمي» أليست هذه العبارة مصرية كنت أمر وصديقاتي حين رأينا

سطح العمارة وهو يمطر بالصحف.. أحد ما كان يقذف بها من السطح نحو الحارة فتسقط لتختلط الأوراق مع بعضها البعض تتماوج كأجنحة ورقية ثم لا تلبث أن تهدأ على وجه الأرض، أسرعت نحوها وأنا أشحذ همم صديقتي للدورتين:

هيا اجمعوها.. اجمعوها».

كانت الصحف تحمل عناوين مختلفة «الجزيرة»، «الرياض»، «المدينة» وضعنا أوراق الصحف في قلب بعضها البعض دون أن تهتم عقولنا التي لم تتدرب على قراءة الصحف بأننا وضعنا الأوراق غير مرتبة فوضعنا صحف الجزيرة في قلب الرياض وهكذا لكننا حرصنا على أن يكون العنوان الكبير بارزاً على الصفحة الأولى ثم انطلقنا نحو الشارع.

أخذت أركض بجانب الإشارة التي أضاءت باللون الأحمر امتدت يدي بالجريدة وأعطتني ريالاً، وعلى بعد آخر نادتني يد أخرى وسحبت جريدة ومنحتني ريالاً آخر.. ركضت نحوي منيرة وهي تقول كيف تبيعين. قلت لها هكذا فقط مدي الصحيفة نحو

الرجل ثم ابتعدت نحو السيارة الأخرى، لم تمض دقائق طويلة حتى سمعت صوتاً غاضباً سرق من قلبي التفاتة وجلة نحو الصوت. كانت يد الرجل تمتد من النافذة وتخبط وجه منيرة بأوراق الصحيفة وتصيح:

«وش هالجريدة..؟ تبيعونا زبالة..؟ هاتي الريال.. بالله» حين سقطت أوراق الصحيفة على الأرض وقبل أن ألمح وجه منيرة يتكسر بالبكاء، ركضت أنا نحو البقالة لأشتري بمكسبي من الريالين حلوى وآكلها قبل أن تشم أمي رائحة النقود وتضربني.

جبير المليحان

من مواليد 1951 (السعودية). مجموعته الأولى «الوجه الذي من ماء» لازالت تحت الطبع.

الفتى الذي عشق!

في البداية:

حوم الفتى بسيارته الصغيرة الحمراء: أمامه الشوارع الواسعة، وتلال الوقت الطويلة؛ قال لنفسه:

- الرياض كبيرة.. أين أذهب؟.. إلى مجمع العقارية..

صرت العجلات.. السوق مزدحم.. لها مع شباب قابلهم في السوق.. لمح من بعيد طرف عباءتها

السوداء تلوح له كيد؛ مشى يتبعها عن بعد، اقترب وازدادت دقات قلبه.. أخذت الدقائق تتقد، وآلمته أصابعه.. جبهته ساخنة، قال: لابد أن تأخذ الرقم!

ضغط الورقة الصغيرة في كفه، وكأنه يضغط يدها؛ فتح الورقة للمرة الرابعة، برق الخط بلونه الأحمر في عينيه.. تأكد من صحة رقم هاتفه، وتصور فرحتها، واحمرار خديها وهي تقرأه.. تبعها.. وأخيراً رآها تخرج من السوق برفقة عائلتها؛ قال: ربما هذه والدتها، وهذه أختها الصغيرة. أما هذا فهو أخوها بكل تأكيد.. أحس بالتحدي نحوه (سأصفعه لو قال شيئاً، وسأثبت لها...).. طالت المعركة، فأحس ببعض الخجل.. ركض إلى سيارته ليلحق بسيارتهم.. أمام الإشارة الحمراء كانت النار تشتعل في داخله.. فرح للون الأخضر، وحرص أن يتبع السيارة من مسافة مناسبة.. لا أريد أن يراني هذا الأخ!

توقفت السيارة أمام مطعم الفصول فأحس بفرح، وكأنه يعرف بيتهم، بل كأنه يعرفها من ألف سنة؟ انتظر حتى مل، ثم دفع الباب ودخل.. تصدى له عامل وقال:

- أين تذهب.. هذا المكان للعوائل؟!

- العائلة في الداخل!

ومرق بسرعة وسط الإضاءة الخافتة كحلم، تخطى ارتباكه، وكان العامل قد ذهب صارخاً إثر طلب ما.. أين يتجه الآن؟ بل أين تجلس هي؟ سمع ضحكة ناعمة فتباغت.. دار حتى وجد كرسياً وطاولة فجلس، وأخذ يدخن.. تفاجأ بعامل رقيق يقف فوق رأسه، ويطلب منه إطفاء سيجارته.. أطفأها وهو يسأل لماذا؟ فقال له العامل: هنا ممنوع التدخين.. إنه مكان للعوائل.. هز رأسه، وظل العامل واقفاً.. فقال له:

- سيأتي الأهل!!

أحضر له العامل كأس ماء، وتركه..

استمرت عيون النادل تمسحه، وهم يروحون ويغدون، تشاغل والعامل الدقيق يقبل نحوه.. ابتسم له وقال:

- لقد تأخروا!

- هل تريد أن تأكل؟

قاده إلى طاولة صغيرة بكرسيين.. كانت قريباً من قسم العوائل، وتطل على الباب الخارجي.. استقبل الزجاج، وجلس:

(رآها تقبل نحوه، وبحيائها تجلس أمامه.. قال غاصاً بفرحه: أهلاً. فسمع رنيناً خافتاً يشبه الغناء.. طارت عصافير كثيرة ضاحكة حول قلبه.. وسمع هديل حمام.. وأزهار صغيرة أخذت تورق بين أصابعه.. ضغط أصابعه.. حتى تشابكت الأغصان وتألمت يداه..) انتبه إلى صوت النادل الرقيق يقول له:

- سنغلق المحل.. لو سمحت!

ترنحت أشجار فرحه.. نهض خارجاً، فتح يده على الورقة الصغيرة.. رأى الرقم الأحمر فدعكه بانفعال، ورمى بالورقة؛ ثم سار وكأنه يسقط في بئر.

في اليوم التالي:

دار في العقارية حتى كل؛ مشى وتوقف

بسيارته أمام مطعم الفصول، دفع الباب ودخل قائلاً للعامل:

- العائلة في الداخل!

ومرق بسرعة، الإضاءة خافتة. جلس على الطاولة الصغيرة ذات الكرسيين، متسائلاً: أين تجلس هي؟ جاءه العامل الرقيق فقال له:

- سيأتي الأهل!!

أحضر له العامل كأس ماء، وتركه..

انتظر أن يسمع ضحكة ناعمة.. أخرج من جيبه علبة الهدية الحمراء الصغيرة، ووضعها بالقرب منه، قال ستفرح بالسلسلة الذهبية، والقلب الصغير الذي يحمل الحرف الأول من اسمه.. انتظر، وانتظر، وانتظر.. حتى امتلأ فؤاده بأحجار ثقيلة؛ قام ليغادر.. لكن كأنه سمع من يقول له: انتظر.. جلس وهو يلتفت باحثاً عن محدثه، لم يكن غير الطاولة الصغيرة والكرسيين.. وأناس بعيدون يثرثرون حول صحون طعامهم.. نظر إلى الكرسي المقابل له (تراءى

له طيف ابتسامتها ، كانت كما لو جلست أمامه، وقد تدلت خصلات شعرها الأسود فوق جبينها المشرق.. خفق قلبه. وهو يبتسم، قال أهلاً فردت عليه بحياء.. مد يده بالعلبة الصغيرة الحمراء، ولمس أصابعها الناعمة، فتعالى غناء لا حدود له في وديانه.. أخذ يحدثها عن أول مرة شاهدها في أسواق العقارية، وكيف كتب الرقم، وأخذ يسأل عن المرافقين.. وصف لها بيتهم، وعدد أفراد أسرته واحداً واحداً، وطلب منها أن تصف له بيتها ، وكان متلهفاً لمعرفة موقعه..) بوغت بصوت النادل الرقيق وهو يسأله:

- هل تريد أن تأكل؟

- ارتبك وهو يومئ برأسه؛ وأمسك قائمة الطعام.. عاد النادل إليه، فطلب عشاء لشخصين.. وقال للنادل سيحضرون الآن.. (رآها تبتسم بحياء وهي تخفض عينيها.. واصل الحديث عن أصدقائه ودراسته في الثانوية، وعزمه أن يكون.. و.. و..) انتبه إلى صوت النادل الرقيق يقول له:

- سنغلق المحل.. لو سمحت!

في الأيام المتتالية. يتوقف بسيارته أمام مطعم الفصول مساء يدفع الباب ويدخل قائلاً للعامل:

- العائلة في الداخل!

يمرق بسرعة وسط الإضاءة الخافتة، يجلس على طاولته الصغيرة مقابلاً الكرسي الآخر، يأتي العامل الرقيق فيقول له:

- سيأتي الأهل!!

- يخرج من جيبه علبة الهدية الحمراء الصغيرة، ويضعها قرب الكرسي المقابل، يطلب عشاء لاثنين؛ ويأخذ يحدثها حتى يخرجه صوت النادل قائلا:

- سنغلق المحل!

نورة محمد فرج

(قطر). مجموعتها الأولى «الطوطم» صدرت في (2001).

الخطايا

خطيئتي

لقد كان فعلاً مشيناً حقاً، أتذكره كأحقر ما فعلتُ في كل حياتي، لم أذكره لأحد قط، فهو كافٍ لأن يصبغني من أعلاي إلى أسفل بسواد الذنب العظيم.

كانت الدائرة أمامي على ورقة الامتحان، وفي وسطها نقط خفيفة، لتعطي الإيحاء بأنها برتقالة.

كنت يومها في مرحلتي الابتدائية، في أول صف نتلقى فيه دروس الإنجليزية.

يجب أن أكتب اللفظ بالإنجليزية، أعلم أنها orange، ولكن أين تقع الـ e؟ قبل الـ g أم بعدها؟

تباً لكل برتقال العالم (يومها لم أقل تباً ولكن أذكر أنني شعرت بكره لا حدود له تجاه البرتقال).

كانت البرتقالة مشكلتي الوحيدة بعد أن أنهيت كل الامتحان، هناك مشاكل أخرى ولكنها أقل خطورة، أما هذه البرتقالة!!

إحدى الطالبات الشاطرات، كانت إلى جواري، ولكن طاولتها كانت متقدمة على طاولتي قليلاً، بحيث كان بمقدوري أن أرى ورقة امتحانها.. رأيتها تفتح نفس صفحة البرتقالة.

لقد غششت منها الـ e!!

ليست خطيئتي

كنت أبحث بين أشرطة الفيديو، عن شريط

فارغ، أو شريط لا يريده أحد، كي أسجل عليه فيلماً كنت أنتظر عرضه من مدة.

هناك رف مقسوم إلى قسمين، قسم للأشرطة الخاصة بي، وقسم لأشرطة أخي. لم أجد شريطاً مناسباً بين أشرطتي، ولكنني وجدت في قسم أخي شريطاً من دون طابع عليه.

فكرتُ بأن أخي لن يمانع إذا ما أخذت من عنده شريطاً فارغاً، ولسوف أعوّضه بآخر لاحقاً.

أدرتُ الشريط في جهاز الفيديو لأتأكد من أنه فارغ وأن بمقدوري التسجيل عليه..

لم يكن الشريط فارغاً كما ظننت، بل كان مليئاً، مليئاً جداً..

لا أستطيع أن أخبر أي أحد عنه.

باسمة محمد يونس

(الإمارات العربية المتحدة).
نشرت العديد من القصص في الصحف والمجلات.

«مساء يحلو فيه الموت»

حينما رأيتها اقشعر بدني!

داهمني لحظتها إحساس مرعب بالموت. فوضعت كفي فوق بطني أجسه، وركلات جنيني تتحول إلى صرخات مذعور، يشهق النجاة!

مد يده باتجاهي. كان يشد فوق كفي، ساحباً إياي في خطوط ملتوية بين المقابر. ازداد جسدي ارتعاشاً كلما خطت قدمي فوق واحدة جديدة منها.

كنت كمن أدوس فوق أجساد منسية في العتمة. تتأوه كأني سحقت عظامها، فيضطرب في داخلي دمي بجنون الفكرة. أردت الاعتراض على رحلتنا المرعبة، ففشلت، ولم أجرؤ على انقاذ صوتي من انكساره في النهاية. فبقيت صامتة، وكنت أبكي بنشيج يزداد عمقاً، كلما توغلنا في المنطقة السوداء.

فح صوته بخار المساء الملبد بالصقيع وقال بحدة متخاذلة: كفي عن البكاء، أنت تقلقين الموتى!

ارتج صوته بين أضلعي كغمغمة تخرج من كهف مغلق بالأشباح، لكي تقتحمني بإصرار.

قاومت إغماءة تود أن تعصف برأسي، فتقتلعه، وهمست:

- لم أحضرتني إلى هذا المكان؟

تأججت نظراته تحمل سياطاً لاذعة تحرقني. ما فهمتها كما لم أفهمه أبداً. كنت واثقة بأنه يجرني للموت، وأعلم بأن ما يفعله هو ما يجب أن يكون!

عشرون عاماً وهو أبي. ماتت أمي ولم أزل بين

ذراعـيـها ، يعـلقـنـا حبل سري واحد، وتـفـرقـنا مـصائـر حيـوات مختـلفة! فـأخذني متـلهفـاً، يبحث بي عن حلم أفتقده. كنت تلك الصورة الألـيمة لذكراها المحزنة فلم يعثر بداخلي عن أصلهـا المتلاشي، وظلت أبـواب حبها اليتـيمة تخفق ضلفتيـها بين عينـيه كلما رآني. كبرت ومعي رجع صوتها المدفون. تخيـلني أعيد بعضاً مما فر منه، أحببته بخوف طاغ، وتملك مشاعري أكثر كلما قص لي حكايتها المتوترة بعشقه، كنت أظنه لا يعرف الموت والقتل برومانسيته، لكنني لم أعرف حقيقته كما يحدث الآن!

ظل صامتاً، يسحبني وراءه كالشاة المسيرة، تتعثر أقدامي بين الثغور المنسية، فينكمش جنيني بين جوانحي المقيدة، وتفور من أعماقي أنات الموتى الغارقين في لحودهم، فأقول بخجل يعذبني:

- تريد ذبحي إذاً؟

لم أدرك رغبته في الانتقام مني حينما عرض عليّ القيام بجولة. كان أبي رجلاً آخر وهو يطالبني بالاعتراف، وكنت ساذجة غريرة وأنا أعيد عليه قصة

عـاشـق سـرقـنـي خـلـسـة، كـان يـداعـبـنـي بـحـنـو قـطـة، وأصـارحـه بـحـمـق طـفـلـة، فـبـعـثـت بـين يـديـه أحلامـي. نزفت الكلمات، وهو صامت. لم يفعل أكثر من تعليق بصره فوق بروز بطني الواضح، حينما اكتشف لوثته، ثم انتشل نظره مني وتجاهلني لأشهر!

ولا أدري كـيـف أخـرج نفـسـه مـن حـالـة انـعـدام التوازن، فناداني هذا الصباح وقال بحدة:

- تعالي معي!

ظل ملتزماً الاختفاء وراء غموضه، حتى وصلنا إلى هنا. طوال الرحلة ظل مطرقاً، يقود سيارته غاصاً بالصمت. وتحترق أنفاسه مع لفافات التبغ المتواصلة. وكنت أتخيل مكاناً آخر للموت سوى المقبرة. ساكنني إحسـاس بـالـضـيـق، بـقـيـت واجـمـة، حـتـى تـرجـل مـن الـسـيـارة وأخذنـي معـه. كـان يـجـرنـي بـحـيـرة، يـبـحـث بعينيه عن شيء، كمن يفتش عن ثغرة، يواري فيها سوءته!

- أعلم بأنك تريد غسل عارك، بموتي!

قلت هذا، فبدا أكثر رعباً مما أتصور، وتدفقت

بمطر هائل لا أعرف كيف تكوم بداخلي. كنت أعرف كم لحظة كان أبي يعد فيها الثواني، بانتظار يوم مختلف. يضعني في إطار صورتها الراحلة، ويبتسم. يستعيدها كمن عثر على ظل ينمو صانعاً امرأة، أحبها ذات يوم. قال بأنه ممتلئ بها حتى النهاية. ثم استكان كمن نسي ما سمعه. وظل جامداً وفي وجهه حكاية، تعذبه!

حاولت اكتشاف نواياه. كان غامضاً بالليل. تركني لعدة أيام أراقب ما يجري فوق خارطة وجهه المحايدة فلم أعثر على أبي الذي تاه فجأة. ولم أفهم ما تعنيه تلك اللحظات الطويلة المسربلة باللامبالاة، وهو يحمل صورتي في يده، ويضع صورتها الأخيرة قبالة وجهي، كمقارنة غير عادلة!

- ألن تصارحني بما يحدث؟

ظل يمشي بدون توقف، كمن يلاحق الزمن المتسرب، وخوفي ترتفع تلاله كلما عبرنا لحداً منطوياً أسفل الظلام. وكلما فرقعت الغصون أسفل قدمي،

تتقافز خيالات عفاريت الموت تتحلق حولي، كأنها تحتفل بمهرجان الدم المهدور!

فهمت مؤخراً بأنه يعد الخطة الأخيرة. كان يبحث بين ملفات الشرف عن وسيلة مثلى للنهاية. خفت وأردت الهرب. فعجزت واستقر بي الحال هنا. أمشي وراءه كالنعجة، بين الجماجم والهياكل الممزقة. صار طعم دموعي باهتاً، وقررت أخيراً أن لا أبكي، فالرحلة على وشك الانقضاء، بأية نهاية يقررها أبي!

أمام بقعة بعيدة عن الأخريات توقفنا. انزلقت كفه من يدي المتعرقة. تركني ووقف قبالة التلة النحيلة الممددة هناك. ثم أقعى فوق ركبتيه وانطوى كالمصاب بمغص مؤلم. فهمت بأنه يبكي لحظتها، وعرفت بومضة مباغتة، بأنه لحد أمي التي لم أرها أبداً، ولم أعرف مكانها حتى اللحظة.

كنت كمن تسقط في بقع حلم مغبشة، أهمس:

- أهذا هو مكانها الأخير؟

لم أسمعه وعيناي تبحثان عن ظل صغير لها. تمنيت لوهلة لو أنها تنسحب من موتها، وتخرج شاهرة

ابتسامتها الحانية التي لم أعرفها إلا صورة جامدة في مقبرة الإطار. تمنيت لو أنني أسقط بين ذراعيها وأبكي وأعترف لها بخطيئتي. وبأن عاشقي قد فر تاركاً إياي عارية الملامح، في فوهة انتقام أبي. تمنيت لو كانت الميتة امرأة أخرى، وأمي مجرد تائهة تعود إلينا، وتنبلج عتمة الخوف البغيض!

- أمي؟

انزلق النداء جسداً ثقيلاً أتعبني حمله لزمن طويل، ارتطم في فجوة قلبي، انحدرت سيقاني هي الأخرى فوق التلة الضيقة، وقد فضلت أن تكون نهايتي في أحضانها. لم ألتفت ناحية أبي الصامت، فكرت بأنه سوف يستل سكينه أو مسدسه ويخنق أنفاسي بلا تردد. بكيت يرعبني خوفي البائس على طفلي، ثم تذكرت بأنه سيموت معي، كما سأفعل فوق صدر أمي. فتوقفت عن البكاء، ثم زفرت، وهدأت ارتياحاً لا أفهمه!

في تلك اللحظة الواهية، ابتل الصمت بهدير رياح عبرت الفضاء حولنا. ارتعشت البرودة المتغلغلة

في أعطافي فارتجفت، وانفتح في بطن الأرض غطاء شفاف، تسارعت فوقه الأبخرة الضبابية، وتخيلت أمي تنشق بجسدها من فجوة ضيقة، تنبثق من هناك كعمود من دخان أبيض طاهر، ينسدل شعرها بسواد خوفي المتيبس بين جدراني. كانت تمد ذراعيها كي تلتقط كفيّ المستسلمتين، وتسحبني إليها. تمددت بخمول بارد، مغمضة العينين، تجوب بصري خيالات بديعة، تضعني أمامها كالحقيقة. وكانت تأخذني بلهفتها المنتظرة، وتعصرني، وتعصرني بين دموعها الطافحة بالمرارة. تحتضنني بحنو. تقبلني بعنف، وتصهر ذراعيّ بأمومة فائقة. ابتسمت لها، وهمست بحب:

- كم اشتقت لك يا أمي!

كان صوتها كغمامة تتغلغل فيها نذر المطر، وحينما لمحت وجه أبي، استدارت تنظر إليه بصمت يثرثر بحكاية، كمن يعاتبه. ثم لمحت ومضة لوم تسدد سهامها في عينيه، فرفع أبي رأسه إليها وهمس بألم:

- سامحيني، لم أعرف أنهم قتلوك، لم أدر أين دفنوك حتى البارحة!

غرغر التساؤل يقتحم حلقي لحظتها. أردت أن أفهم ما يحدث، لكنها قالت:

- لماذا تخليت عني؟

كانت تتراجع من أمامي مقهورة، قبل أن أسألها، تسحبني بقوة، تفيض من نظراتها أنهار أمومة محرومة، ينتفض في صدرها الشفاف خافق كبلورة نازفة. مددت إليها عينيّ متوسلة لحظة فريدة طالما تمنيتها، وأرخيت جسدتي كي تحملني معها إلى حيث تمضي، توقعت أن يغوص السكين في لحمي المفجوع بخطيئة سرقة، فألحق أمي وأذوب وإياها في عتمة اللاحياة، لم يعد الموت يخيفني بعد أن ذاقته قبلي، وبدأت أتلذذ بفكرة اللقاء، لكن صوت نشيج أبي شدني منها بقسوة. كان يهتف مرتعداً:

- لم أفعل، قتلوك قبل أن أجدك، وبقيت ابنتنا هي عطرك الذي لا ينطفئ! أرجوك، لا تأخذيها مني!

كانت تجذبني بقوة، ويدا أبي تحاولان منعها:

- كلا، دعيها لي، لا تأخذيها مني!

بدأت أشعر بالوهن، وانفتح من جسدي شلال هادر، صار أكثر غزارة حينما احتضنتني أمي وبدأت تمزق ثيابي بعجلة. تخيلت الموتى وهم يموتون مرتدين ثيابهم، ثم يجبرون على نزعها بعد رحيل النفس، ليلبسوا ذنوبهم، وهطل فوقي مطر ثقيل، شعرت بانصبابه وعجزت عن كف مائه بيدين مقيدتين بين ذراعيها. كان الصوت المكتوم الذي يطن في جمجمتي يشبه مواء نعجة ذبيحة، فمددت كفي أتحسس عنقي الجريح، أبحث عن طعنة تركها أبي، وأمسح منها بصماته كي لا يعاقب!

لم تمض إلا دقائق، وفتحت عينيّ كالخارجة من احتفال مبهم بالموت، بدا المكان أكثر ألفة، وكأني لم أعد أخشى الموت، والمقابر، بحثت عن أمي، فلم أعثر إلا على جذع سدرة ترتعد غصونها برداً، وأبي دافناً وجهه في تراب قبرها الضئيل، غارزاً أصابعه بين ضلوع الطين المحيط به، كمن ينبش عن جسدها لكي يضمه. ويزعق بوجع عتيق:

- لا تأخذيها مني كما فعلوا بك!

كان وقار أبي يندلق ببكاء عاصف، مفرجاً عن خزين آلام تراكمت فيه حتى أصبحت جبلاً من الأحزان، ويهتف بحرقة:

- سامحيني، سامحيني، ليتنا تزوجنا كي لا نفترق أبداً!

رفعت رأسي. يلفني شعور بقيد يشدني إلى التراب، ومددت كفي المرتخية أمسح فوق رأسه المرتج بالذكرى، وبالأخرى أمسد ذلك اللاهث الذي كان يركل جدار بطني بكارثة، فلم أعثر عليه هناك! ارتفعت رأسي المصطخبة بالمفاجأة، كنت أنتفض ناسية ألمي، تبحث عيناي عن شيء أضعته، حينما واجهتني نظراته المغموسة بدماء الوجع، وكان يموء بصرخة الحياة، تتلبد فوق جسده أتربة المقابر، وكأنه خلق منها!

رأيت طفلي منسدحاً على التراب أمامي، فامتدت ذراعاي حوله، تقطفانه من فوق الأرض، تعيدانه إلى حجري الفارغ منه، وانطويت أشمه

وأغرق رأسي في لحمه الدافئ. كنت ألد الحياة في لحظة موتي! رفع أبي رأسه ناحيتي وغص صداه المرتعش:

- سامحينا!

طوال طريق عودتنا من المقبرة بقيت صامتة، مذهولة، وكان أبي يتابع اعترافات ذكراه الموجعة، بعد أن فر تاركاً أمي تتحمل وزر خطيئة لم ترتكبها وحدها، يسرد ندمه بلوعة، ويجرف مع شهقاته أمواس غضب جارحة.

واستطعت لأول مرة أن أفهم سراً صغيراً مزروعاً في داخله، ظل يرعبه بتواصل محموم، كما يفعل فم غول واسع، يفح سعار الجحيم.

بدت الآن فكرة ولادة طفلي، تفوق خوفي من لحظة موت، كنت أظنها تبددت وراحت في سبيلها! ألم يكن مساءً، يحلو فيه الموت؟

مـــبـــارك الخـــالـــدي

(السعودية). نشر العديد من القصص في الصحف والمجلات.

نشــوان

بخطى سريعة خفيفة متوترة، يتجه نشوان صوب القطار وليس في تفكيره سوى أمنياته الصغيرة التي يطوقها بخوف وحنو بأروقة روحه ويخاف أن تنمو وتكبر بعد أن رأى أن زمانه لا يسمح بالأمنيات والأحلام الكبيرة، فهو يطأها بقدمين من غلاظة وقسوة، أحياناً يتهم نفسه بالانهزام لأنه أصبح يفصل أمنياته حسب مقاييس زمانه، وهو الذي كان يظن أن الإنسان هو المخلوق الذي لا يمكن هزيمته حتى

بتدميره، مثلما كان يظن العجوز سانتياغو، يفاجئه صوت في داخله لتخفيف قسوة الاتهام الذي سدده إلى نفسه: لكن سانتياغو ليس إلا شخصية نبتت من خيال هيمنغوي، هيمنغوي الذي ضغط بسبابته على الزناد ليكتب نهاية حياته، هل كان انتحاره تدميراً لذاته، أم إعلاناً للهزيمة؟ ينسحب نشوان من أمام السؤال لأن هيمنغوي وسانتياغو لا يهمانه الآن، يمسك بهما ويدفعهما إلى داخل المكان الذي يحتلانه من ذاكرته ويرتج الباب عليهما، لا يريد أن يتذكرهما الآن ولا غيرهما، كل ما يهمه هو أن يصل إلى العربة.

يصل إلى العربة، يصعد العتبتين الحديديتين، يدخلهما، يلقي بجسده في أحد المقاعد ويتمدد بارتخاء، مسلماً نفسه لتيار أمنياته الصغيرة المائرة في أعماقه، يتمنى أن يجلس دون أن ينقض عليه المأمور بأمره المتلفع بابتسامة مفتعلة باهتة أن يحمل جسده إلى مقعد آخر لأن المقعد الذي اختاره من تلك المقاعد المخصصة للعائلات، في كل مرة يركب فيها القطار، يعيد المآمير الكلام ذاته معه ومع غيره

فينهضون من المقاعد باستياء، لأنهم يعلمون أن ما يسمى «مقاعد العائلات» سوف تظل فارغة حتى نهاية الرحلة، ورغم ذلك يصر المآمير على إجبارهم على النهوض من أماكنهم إلى مقاعد أخرى، فكأنهم يتلذذون بممارسة هذا الطقس وجد المآمير أنهم، في أحيان كثيرة، يطلقون لفظة «عائلات» على نساء يسافرن بمفردهن، ويمتنعون عن اعتباره عائلة، وهو الذي يمشي ويسافر ويؤوب بصحبة عائلة كبيرة ممتدة من همومه وعذاباته وأمنياته الصغيرة وصوتها، صوتها الذي إن جاء يخضل ثواني عمره بالضياء والمطر، وينسكب في روحه رحيقاً من أقحوان وشجر. يتذكر كيف كان يرتعش نشوة واحتراقاً لذيذاً في حديثهما الذي دام دقائق قليلة اختلساها من زمن الغلاظة والقسوة ليلة البارحة، ونام على هدهدة نغمات صوتها العذب الرقيق الذي ينقله دائماً إلى شطآن مغمورة بالنور. كان نشواناً بالفعل ففي لحظات أحاديثه معها فقط يشعر أن اسمه ينطبق عليه، أما فيما عدا تلك اللحظات فيتمنى أن يكون له اسم آخر، اسم لا علاقة له بالنشوة أو الانتشاء، لأنهما

يكونان بعيدين عنه بمسافات خرافية، يتمنى الآن أن يمد يده في الهواء ويمسح المسافة التي تفصل بينه وبين صوتها ليدخل في النشوة التي خبرها البارحة، يرفع يده عالياً في الهواء، يحرك راحة يده المفتوحة أمامه بحركة قوسية، كأنه يمسح المسافة بينه وبين صوتها، وقبل أن يتم غايته، يباغته صوت المأمور: «لو سمحت» يحبس نشوان أنفاسه توقعاً للأمر أن ينتقل إلى مقعد آخر، يفتح المأمور فمه مرة ثانية: «التذكرة من فضلك» يفلت نشوان أنفاسه بزفرة ارتياح، يمد يده بالتذكرة إلى المأمور، يتناولها المأمور، يضعها بين فكي الثاقبة، يند عن الثاقبة صوت خافت: «تشك» يعيد المأمور التذكرة مثقوبة إلى نشوان، يدسها نشوان في جيبه. يلملم أطرافه، يعود إلى حديثهما ليلة البارحة، يلج صوتها، يتدثر بدفئه، ويسبح في نشوة لذيذة.

ريـــــا
أحـــمـــد

(اليمن). نشرت قصصها في العديد من الصحف والمجلات. مجموعتها الأولى تحت الطبع.

مستشفى 2000

بدت السماء تلك الليلة كعروس تزفها الشهب وسط زغاريد النجوم إلى تلك الأقمار المحتلة فضائها وقد توجت بذلك الحلم الإنساني الجميل.. فقد جعلت الألعاب النارية منها لوحة فنية رائعة أبدع العلم في رسمها..

«ليس باستطاعة كل فرد أن يحيي هذه اللحظات» حدث أحدهم نفسه بذلك وقد راحت عيناه تجولان بين أولئك المحتفلين بولادة هذا القرن.. وقد

تملكهم الشعور بالفخر والفرح لمعايشتهم تلك اللحظات التي ولد فيها ما كانوا ينتظرونه بشوق ولهفة فقد كانت لحظات طال انتظارها وبولغ في الاستعداد لها.

خالج البعض إحساس بازدراء النفس «ياللنفاق الذي يتربع على أفعالنا فها نحن نحتفل بولادة قرن دون أن نودع ذكرياتنا التي رحلت مع القرن الآفل»..

«أي ذكريات تقصد.. أهي ذلك النوع من الذكريات التي أبكتنا طويلاً عندما شربت الأرض دماء ملايين البشر» صمت الأول وكأنه قد اقتنع بإجابة صديقه الذي أثمله الشرب.

كان مستشفى 2000 يبدو كنجم يلتقط له الصور من كل جانب فها هي الفلاشات جعلت منه قمراً مضيئاً كتلك الأقمار التي تصورها أفلام الكارتون.. وقد جعل منه المولودين «حزين» و«سعيد» نجماً مشهوراً.. وكان والد الطفلين يرد بفخر واعتزاز عن ولده «حزين» الذي ولد قبل أخيه بدقيقة واحدة فقط فقد كان آخر ما لفظه القرن الآفل.. وتحدث والسعادة

تغمره عن ولده سعيد الذي كان أول من استنشق هواء خالصاً من أنفاس القرن الجديد.. كان يرد على أسئلة الصحفيين الجريئة دون تردد أو حياء.

كان يتحدث ويدلي بآرائه وهو على ثقة كاملة بأن القرن الجديد فتح له بوابة النجومية والشهرة.. كانت الأقمار الصناعية تنقل عبر قنواتها خبر هذا الرجل مع الاحتفالات بالقرن الجديد. كانت احتفالات رائعة حُرم منها أولئك المعتكفون في صومعة التكنولوجيا حيث كانوا في مفاوضاتٍ لم تنته مع أجهزة الكمبيوتر التي رفضت بعنادٍ غريب كل الحلول المقترحة.. وطرق التفاهم حول الصفرين اللذين أثبتا وجودهما بطريقة جديرة بالإعجاب.

كان الرجل لايزال يجيب عن أسئلة الصحفيين التي لا تنتهي.. وبينما كان يحلق في فضاء أحلامه خرج الدكتور من غرفة الولادة متجهم الوجه.. مطأطأ الرأس حذر الكلام.. كان جسده ينتفض بشكل يثير الهلع.. وكان فاغراً فاه من هول شيء بدا مريباً..

- ما بك.. هل مات حزين؟

هكذا سأله والد الطفلين. وقد بدت له حالة الدكتور نذيراً بالسقوط من شاهق الأحلام إلى مقبرة الواقع التعيس..

نظر الدكتور إليه متعجباً من فاله السيئ لأحد طفليه دون الآخر:

- لا.. إنه مريض ولكنه لم يمت.

صرخ الرجل في هلع لم يمنع الصحفيين من التعليق على ما يجري أمامهم «لا تقل أن سعيداً هو من.. من..» باتت الأحلام تتبدد رويداً رويداً.. كان ينظر إلى الدكتور بعينين متجمدتين.. إنها لحظات أشبه ما تكون بدهور مضت وجاء صوت الدكتور من أغوار سحيقة «سعيد لم يمت..» تنفس الصعداء وبدأت الأحلام تحلق به من جديد.. استطرد الدكتور في حديثه:

«إلا أن سعيداً ليس بالطفل الذي.. الذي» صمت ليسمح للآخرين باستنشاق بعض الهواء الذي أحرقته تلك الأنفاس الملتهبة.. كانت الميكرفونات والكاميرات الفونغرافية والتلفزيونية تعيش تلك

الأجواء الحرجة وكانت تنتظر ما تبقى من حديث حول التوأمين الذين فصلت بينهما دقيقة بمائة عام..

أدرك الرجل أن اللحظات التي عاشها والتي كانت من أجمل لحظات حياته قد أزفت للرحيل.. وأدرك الصحفيون أن شيئاً مذهلاً قد حدث فعلاً في تلك الغرفة اللعينة..

صرخ الدكتور مواصلاً حديثه الذي كان بارداً واجماً «إنه وحش.. ليس بالطفل.. ليس بإنسان.. إنه كائن غريب.. إن سعيداً هذا وحش..» مضى بخطوات متلاحقة نحو تلك الغرفة التي حملت الرقم 13 تاركاً وراءه عاصفة من الأقاويل.. وبركاناً من الأفكار المتصارعة في رأس من كان يرقب الموقف في المستشفى ومن كانوا يشاهدونه عبر البث المباشر..

جاء الدكتور بكائن غريب يبعث في النفس الاشمئزاز.. والتقزز حتى أن البعض قد تقيأ من منظره الدميم.. قال الدكتور أن ذلك الكائن هو الطفل سعيد..

كان للطفل أيدي أخطبوط.. وعينا نمس.. وله

رجلي قرد.. وكان الشعر يغطي كل جسده الذي كان يفوح برائحة نتنة استوطنت فضاء الكون.. وهذا بالضبط ما أنهى جو الاحتفالات حيث وزعت الحكومات الكمامات على جميع المواطنين.. وكان بكاء الطفل كعواء الذئاب الجائعة ومناغاته كنعيب البوم..

اغتالت الحقيقة تلك الفرحة التي داهمت ذلك الرجل المسكين للحظات لم تكتمل.. لاذ الجميع بالصمت بعد أن انتشر خبر وفاة الطفل حزين الذي نهش جسده مرض غريب لم يعرف ما هو ولم يكتشف له دواء. كان ذاك المرض المعدي قد أودى بحياة جميع نزلاء مستشفى 2000..

ساد الصمت أرجاء المكان بعد أن خلعت السماء ثوب عرسها الوهمي وارتدت ثوب الليل الموحش.. أصبح حزين وسعيد حديث الألسن قبل أن تندلع حرب طاحنة بين من أطلقوا على أنفسهم بشراً وبين أجهزة الكمبيوتر التي أحكمت قبضتها على زمام الأمور بكل براعة.. ونشبت الحرب العالمية الثالثة وكانت

تحصد ضحاياها بصورة نشطة فهي حرب ضروس بين الذكاء الإنساني وبين مخلوقاته النازية.. حرب خفية رغم صخبها.. وهكذا بدأ القرن المنتظر بحركات التحرر من الاستعمار الجديد..

ناصر
سالم
الجاسم

روائي. من مواليد 1965 (السعودية). أصدر مجموعة «النوم في الماء» (1998)، مجموعات أخرى تحت الطبع.

ذاكرة المطر

الطرق الزراعية غارقة بالمياه الطافحة من قنوات الري فالمسؤول عن توزيع المياه على الفلاحين في مكتب الإرشاد الزراعي لم يحسب حساب السحب الكثيفة التي تحجب ضوء الشمس عن القرية ولم يقتصد في حصة المياه المقررة لمزارع القرية فأمطرت السماء واختلطت مياه الري بمياه الأمطار فساح روث الحمير المبعثر في الطرق مع القش والثمرات الفاسدة الساقطة على الأرض والتي أتت العصافير على

بعضها وهي لاتزال رطبات معلقة في العذوق وصبت جميعها في المجاري المخصصة لتسرب المياه الزائدة عن حاجة الأراضي.. أرجل الفلاحين تنتزع طبقات كثيفة من الطين ويدفعهم الطين إلى توخي الحذر من الانزلاق ويجعلهم يبطؤون في المشي لشعورهم بثقل أقدامهم وهم فيه وربما اضطرهم الوضع إلى أن يمسك أحدهم بكف الآخر أو يضعها على كتفه.. دخل غشي وهو واحد منهم إلى بيته واجماً على غير عادته ونمل المزارع يمشي على ثوبه وصرصار صغير أصفر اللون يتطاير على طاقيته المشبعة بماء المطر والعرق والمتسخة من ثرى الأرض وغترته مربوطة في وسطه وداس على سجاد باهت اللون بقدميه فطبع بصمات رجليه بالطين عليه.

تمدد غشي أمام ابنته عشبة التي رآها تقطع اللحم بالساطور وتكومه في أكياس النايلون ونام بعد أن علق ناظريه في السقف طويلاً واضعاً يديه على صدره..

أنهت عشبة تقطيع اللحم وقامت وسخنت ماء

وتركته في إنائه أمام قدمي أبيها حتى يفتر وكانت تجس فتوره بين لحظة وأخرى بغمسها أصابعها فيه وفي أثناء ذلك تقوم بطرد الذباب الذي جذبته رائحة اللحم المستقر على فمه المفتوح والحائم حول عينيه.. حين فتر الماء أخذت تدلقه على قدميه وتزيل الطين عنهما بيديها حتى نظفتهما فانكشفت لها الشقوق الغائرة فيهما بخيوطها السوداء الدقيقة فقامت ثانية وأحضرت منقاشاً تنقش به الشوكات الصغيرة المختبئة في الشقوق والتي لا يكاد يحس بها الفلاح وهي تدخل فيها ثم كمدت رجليه بخرقة مبلولة وواصلت طرد الذباب.

استيقظ الأب من نومه فأسرعت وجلبت له الماء ليغسل وجهه ولاحظت طول أظافره وهو يغرف الماء بيديه من الإناء فقامت وأحضرت مقراطاً وأخذت تقرط أظافره التي تقوست على لحم البنان لطولها بيد وتجمع المقطوع منها في راحة يدها الأخرى وهي تتلذذ بذلك حتى انتهت.

عرضت عشبة على أبيها تناول الغداء فأجاب

بإيماءة من رأسه تعني الموافقة وبينما هما يأكلان غداءهما المطعم بالتونة سألته عن سر وجهه فتوقف عن الأكل ووضع اللقمة على السفرة وزفر زفرة أخرجت حبة رز عالقة في فمه وبدأ يحكي لها بصوت مختبئ فيه البكاء:

هلت الأمطار وتصدعت بيوت اللبن وانعقر البيت وخر على الناس السقف وغرق الدجاج وماتت الأغنام والخراف ولم ينج من الدواب إلا الحمير والعجول والأبقار ووقفت في بيتنا المنهدم وماء السيل يغمرها حتى سرتها ترضعك وبعدما شبعت نمت ونسجت لك بعد ذلك محفة ورقت بك نخلة كانت في بيتنا أطول منها عمراً وعلقتك بين سعفتين من أشد السعفات خضرة وأقواها ثم نزلت وغاصت في الماء حتى عثرت على مسحاتي وخرجت من الفلاحين إلى الجبل لتبني أهرامات من الرمل تسد مجاري السيل ولكن الفلاحين نهروها وعابوا عليها ذلك الخروج ولم ترجع إليك إنما أصرت على البقاء وظلت ترقب الفجوات التي يفتحها السيل في أهرامات الرمل وترشد الفلاحين إلى أماكنها فيسدوها وشاع في

القرية بعد السيل مرض دام ثلاثة شهور أفنى أسراً بأكملها ففي اليوم الواحد كانت مقبرة القرية تستقبل ما بين الست والسبع جثث، فاضطر حفارة القبور إلى بناء عروش في المقبرة والسكن فيها، ويقول الحفارة: إن رائحة الموتى تخترق الثرى وتصل إلى أنوفهم في اليوم التالي للدفن.. وكان حديث الناس الوصايا وأزهار تجارة الأكفان والسدر والحنوط وكان البائع يبيعها ويلقن المشترين وصيته والحفار في المقبرة يحفر ويحفظ زميله وصيته، ولقد امتلأت المساجد بالمصلين وكثرت الاستغفارات والصلوات وانعدمت شهادة الزور وأديت الصدقات وأعطيت الزكاة.. وأهمل الفلاحون نخيلهم وانصرفوا إلى فعل العبادات والطاعات فخربت نخيلهم وانتشرت فيها الفئران وارتفع سعر التمر ومات كثير من الناس متوضئين وماتت هي مع من مات.

وسألت عشبة في تشوق: من هي التي ماتت؟

أجاب الأب:

أمك غرسة، ماتت وأنا مسافر إلى دارين، فقد

كان وقتذاك طلب الرزق في البحر أنفع منه في البر، حاولت عشبة أن تبكي فلم تستطع لأنها لا تتذكر وجه أمها.

عـبـدالـلـه الـوصـالـي

(السعودية). نشر العديد من القصص في الصحف والمجلات.

من يرج سطح الماء؟

عندما استيقظ في اليوم التالي أحس أنه ازداد إصراراً على تنفيذ ما عزم عليه.

نظر صوب المشرق.. كان شعاع الشمس الناهضة يصنع زاوية حادة مع سطح البحر. والبحر يتذوق دفء الشاطئ بأكثر من لسان.

ضرب بكفه اليمنى ظهر كفه اليسرى التي توسدها البارحة نافضاً عنها التراب الذي علق بها.

نظـر إلى نعليه.. تذكر أنه لم يخلعهما البارحة لكن إحداهما وجدت سبيلها إلى البحر غير بعيد.. لماذا اختار هذه البقعة بالذات لينام فيها فهي أجمل ما في الشاطئ؟

مرقت في الشارع الموازي سيارة تمشي ببطء.. أكملت دورتين قبل أن تتوقف على مسافة منه.. نزل صاحبها يستطلع الشاطئ.. ثم ركب واتجه نازلاً إلى المساحة الترابية بين الماء والإسفلت.. تعمد السائق الذي لاحظ وجوده أن يوقف السيارة بحيث تصنع حاجزاً بينه وما يليها من الناحية الأخرى..

النوارس تركب تيارات الهواء الآخذ في الدفء في حركات بهلوانية..

كان نومه البارحة أشبه باليقظة.. قلبه لم يعد يخفق بشدة، هدأ تنفسه، بصره الآن حديد، ولأول مرة منذ مدة يستطيع أن يشعر أنه جائع.. لكنه بدا أكثر إصراراً على المضي حتى النهاية!!

انتبه إلى وجود امرأة متنقبة مع السائق جلسا بالجهة الأخرى وبين الفينة والأخرى ينظران إليه..

تذكر أن اليوم هو أول عطلة الأسبوع لذا فقد حضر هؤلاء باكراً ليستأثروا بأجمل الأماكن.

نهض وكله عزم.. سطح الماء مرآة مائجة.

خلع نعله الأخرى على الشاطئ.. وطئ البحر.. باردٌ ماؤه أمعن في الدخول.

حانت منه التفاتة إلى حيث السيارة.. برز صبي من ورائها.. جرى الصبي حتى وقف حيث كان ينام البارحة والتقط فردة النعل المتبقية وأخذ ينظر إليه.

رفع ثوبه الذي بدأ يشكل عائقاً في التوغل وربطه حول خصره.. وأكمل سيره.

لحظة غيب سطح البحر بنان يده الممتدة إلى أقصاها

ضربت النوارس بأجنحتها نصف رفةٍ وهبطت من جديد..

وقذف الصبي النعل إلى البحر بأقصى ما يستطيع..

ورفعت المرأة نقابها بعد أن اكتشفت عدم وجوده.

عبدالله محمد الحميد

(السعودية). نشر العديد من القصص في الصحف والمجلات.

انتظار

بعد أن سمع عن علاقات رائعة، قام بها بعضهم، من خلال (التليفون).. قرر إدخاله بمنزله.

استلقى على فراشه، وظل يداعب بأصابعه الجهاز الأنيق قال لنفسه لم أتوقع أن يتم إدخاله بهذه السهولة، حتى إن الجهاز رخيص الثمن.. ليتني قمت بالأمر من زمن لكان بحوزتي الآن أكثر من «صوت جميل» لم يبلغ أحداً برقم التلفون، حتى لا تفوته

فرصة رائعة. أثناء الرد على مكالمة عادية.. قال «يجب أن يكون الرقم سرياً إلى أبعد حد».

ظل ينتظر.. ينظر إلى أرقام الجهاز، ويحدق بها، تتشابك أمام عينيه، وهيئ له وجه فتاة (!!)

ولخوفه من عدم سماعه جرس التلفون، أثناء وجوده في الحمام، أو المطبخ، زاد من طول سلك التلفون، وظل يتحرك في أرجاء المنزل بكل حرية يحمل بإحدى يديه الجهاز، والأخرى تشد من السلك ولأنه يتوقع أن غالب المكالمات الحارة.. لا تأتي إلا في الليل، أو هذا ما سمعه... بدأ حالات السهر الطويلة. أحياناً يغلب وكثيراً ما يتأخر عن عمله.

ذات دوام مليء بالملل، والأوراق والمراجعين، استدعاه رئيسه، ووقف أمامه نصف نائم، ونصف مستيقظ... فأخبره بأنه مهدد بالفصل، كان يسمع التهديد وينظر إلى أجهزة (التليفونات) بجانب الرئيس، وتمنى لو أن جهازه الخاص معه الآن.

وهو عائد إلى منزله، لم يفكر بكلام الرئيس، ولا بالوظيفة، كان همه أن تأتي مكالمة دافئة.. طوال

الليـالي يستلقي على فراشه، والتليفون قابع بجواره، لا يعمل أي شيء، سوى أنه يرفع السماعة من وقت إلى آخر، ليتأكد من وجود الحرارة، وحين يسمع الطنين، ترتفع حرارة جسمه. مضى شهر، شهران، ثلاثة أشهر، و(التليفون) لم يرن رنة واحدة.

في أحد الصباحات المثقلة بالنعاس، يئس من هذا الانتظار، ارتدى ملابسه، ليس للذهاب إلى العمل وإنما للتوجه إلى أحدهم، لعله يساعده، ويحول له بعض الأصوات المثيرة، بخطوات متثائبة ومحبطة، توجه ناحية باب غرفته، وهو يغلق الباب، سمع جرس التليفون، فكاد قلبه أن يقفز من مكانه، عاد سريعاً إلى فراشه، وتناول سماعة (التليفون) بيد مرتعشة، قربها إلى أذنه سمع صوتاً ميكانيكياً «عفواً... نرجو تسديد رسوم الاشتراك والخدمة، بأسرع وقت ممكن، حتى لا يتم قطع الحرارة عنكم»..

... تثاءب، واستلقى على فراشه.. يغالبه اليأس.

عـبـدالـلـه حـبـيـب

(سلطنة عمان). نشر العديد من القصص في الصحف والمجلات.

حنـدول

أدري أن ما حدث لحندول المسكين قد حدث، وسيحدث لغيره، من أول الخلق وحتى يرث الله الأرض وما عليها، ولذلك فإنه ينبغي «التماسك والتحلي بالصبر وقبول القضاء والقدر، وانتظار العوض من الله الوهاب الذي وسعت قدرته كل شيء»، كما قال أهل الحكمة والوقار في القرية، والذين شددوا برزانة على العبارة حين قدموا رأيهم

الصارم هذا، بصورة خاصة، لوالد حندول المقرفص بلا حراك أمام العريش، وقد فغر فاه ذاهلاً كمن أصابه مس، محدقاً في الوجوه المشفقة باحثاً فيها عما يمكن أن يعيده إلى صوابه، ولأمه النائحة التي قبضتها من ذراعيها امرأتان من الجيران كي تحولا دون أن تهشم الثكلى صدرها ورأسها بلكمات قبضتيها المسعورتين.

ما حدث لحندول ذي العشرين سنة، والجسد الأسمر السامق، والابتسامة البخيلة، أنه خرج، كعادته، في هذا الصباح إلى البحر، ولم يعد. خرج إلى البحر كي يأتي بما ربما يكون قد علق بشباكه الجديدة التي تركها هناك في الأمس، لكنه لم يعد. كل القوارب عادت إلى الشاطئ عند الظهيرة، إلا قارب حندول.

وحين مالت الشمس إلى النصف الغربي من السماء، أيقن الجميع أن ثمة مكروهاً لابد أن يكون قد حدث لحندول ذي العشرين سنة، والجسد الأسمر السامق، والابتسامة البخيلة. ولذلك خرجت ثلاثة قوارب للبحث عنه، وعادت حين أوشكت الشمس أن

تميل إلى الربع الأخير من السماء.. كانت القرية برمتها متكدسة تنتظره، وكأنها كانت تتناسل على الشاطئ منذ عشرين سنة حتى لا تفوتها مشاهدة عودته، وكان حندول ممدداً في قاربه الذي سحبه أحد القوارب الثلاثة، على ظهره بلا حراك، ولا كلام، يداه مكفوتتان على صدره، وعيناه مفتوحتان على الفضاء والسحب، والنوارس التي كانت تحلق زافة موكب القوارب الأربعة، والغربان التي جاءت من جهة النخيل واختلطت بالنوارس القادمة من البحر.

قال الصيادون الذين عادوا بالميت إنهم وجدوا قارب حندول يتمايل قليلاً مع الموج، ومرساته ملقاة في القاع، وقد طفت فلينات الشبكة على الماء، بينما أخذت النوارس تحلق صامتة في دورات تنداح على المكان. أما حندول فقد وجدوه، إضافة إلى سمكتين حيتين حمراوين، في الشبكة. «كان طويلاً، وكان منكباً على بطنه في قاع الشبكة وذراعاه مفرودتان في الماء وكأنه يسبح. كان طويلاً» هذا ما قاله أحد الصيادين وهو يهز رأسه يميناً ويساراً دلالة الأسف والحسرة. ويقول الصيادون الذين عادوا بالميت ما

يخمن به الجميع، أي أن حندولاً لابد أن يكون قد فقد توازنه على حافة القارب وسقط في البحر في أثناء محاولته تخليص السمكتين من الشبكة. كان حندول سباحاً ماهراً بشهادة الجميع، وتتذكر قريتنا أنه تمكن قبل سنتين من العودة إلى الشاطئ سباحة في البحر المجنون بعد أن أغرقت ريح مفاجئة قاربه الصغير. لكن الصيادين يقولون ما يظنه الجميع أيضاً، وهو أن الشبكة قد التفت على يدي ورجلي حندول بحبالها وخيوطها فور سقوطه في الماء، وأنه حاول تخليص نفسه بأقصى ما يستطيع من قوة، بدليل وجود بعض اليوط الممزقة في أعلى الشبكة الجديدة، ولكنه، كما هو واضح ومؤسف لم يفلح، ويقول الصيادون إنهم تركوا الشبكة الملعونة في مكانها، هناك في البحر، وفيها سمكتان حمراوان تسبحان.

لا أدري لماذا أخبرني حندول البارحة بسره وعويشية البكماء، الصبية التي تسكن مع أهلها في المزارع التي تحد القرية من الغرب. لقد باح لي بأنه يلتقي بعويشية كل ليلة، بعد نحو ساعتين من صلاة المغرب.. تأتي هي، وقد رشت على ثوبها شيئاً من

عطر ليموني الرائحة، وتقف على حد المزرعة وراء الحظار الهزيل. ويجيء هو، مبخراً وقد وضع مقداراً من دهن العود يكفي لتضمخ النسمات الشحيحة التي تراوح في الليل الرطب بينه وبين عويشية، ويلتقيها واقفاً على حافة الطريق المعتمة أمام الحظار، ملتفتاً بحذر يميناً ويساراً ترقباً لعابر مفاجئ في الحلكة. هكذا، كل ليلة، منذ شهور وشهور يتلامسان بالأيادي تكلمه بابتسامتها ويكلمها بلسانه، يستمع إليها وتستمع إليه، ويستمعان معاً إلى هسهسة حشرات الليل، وتنظر إلى عينيه بعد أن تعطيه زهرات ياسمين منسوجة في قلادة صغيرة. وتحدق في سماء الليل المنسوجة بالنجوم، وتواصل الاستماع إليه، «لكننا اتفقنا أنني سأجيء بحصيرة ليلة غد، وسأنفذ من خلال فجوة في الحظار إلى المزرعة، وسأفرش لها الحصيرة»، وابتسم ابتسامته البخيلة. هذا ما قاله لي الميت البارحة، ولا أدري.

غسّلوه بالماء والسدر، وعطّروه بدهن العود، وبخّروه باللبان، وكفّنوه بالقماش الأبيض الناصع، الذي اشترك في دفع قيمته الجيران الذين اشتروه من

سوق الولاية المجاورة. وأنا كنت أنظر إلى عينيه وهما تغلقان للمرة الأخيرة. وحين غربت الشمس خرجنا نمشي وراءه إلى المسجد لنصلي عليه ثم ندفنه في المقبرة المحاذية لمزرعة أهل عويشية البكماء مروراً بالطريق التي كان يقف بها في مواعيده الليلية مع الصبية، ولا أدري إن كانت عويشية قابعة ترقب، من مكان ما في المزرعة، ركب الجنازة حاملاً حندولاً ليُطمَر في حفرته المظلمة.

أظن أني أدري أن ما حدث لحندول المسكين قد حدث، وسيحدث لغيره، من أول الخلق وحتى يرث الله الأرض، وما عليها، ولذلك فإنه ينبغي «التماسك والتحلي بالصبر وقبول القضاء والقدر، وانتظار العوض من الله الوهاب الذي وسعت قدرته كل شيء»، كما قال أهل الحكمة والوقار في القرية، وأدري أن عدداً من صيادي قريتنا قد ماتوا في غرقات متفاوتة الشبه بغرقة حندول، حيث لا يمر عام على قريتنا دون أن يغرقَ صياد. ولكني، وأنا أسير صامتاً وسط الحشد المهلل والمكبر وراء النعش الملفوف بحصيرة ممزقة لفت الجثمان المكفن لكل من مات من

أهل قريتنا. كل الأطفال والعجائز والرجال والنساء، كنت أتساءل: كيف يمكن لحندول أن يصدق أنه ميت الآن، وأنه لن يخرج إلى البحر غداً، ولا بعد غد، ولن يلتقي عويشية على حصيرته الليلة، ولن يراها أبداً؟ كيف يمكن له أن يصدق ذلك؟

محمد الدخيل

من مواليد 1967 ***(السعودية). نشر العديد من القصص في الصحف والمجلات.***

المـدرس

لا مناص.. فإحساسه بالغثيان قد بدأ يتصاعد.. أغلق فمه بإحدى يديه خوفاً من تقيؤ مفاجئ ووضع الأخرى على معدته.. كان تقلص عضلات وجهه يشي بالإحساس الذي يحاول السيطرة عليه.. أما التلاميذ فقد أصاب معظمهم خوف حقيقي.. اثنان منهم هبّا إليه.. أسنداه وهو يخرج حتى وصل إلى تلك الغرفة المستطيلة الواسعة.. التي ينبعث منها الهواء البارد وتضج بالقهقهات.

دلف بصمت.. استرخى على إحدى الكنبات القريبة من الباب.. محموماً منهكاً كان.. وكان مريضاً.. لاحظوا ذلك.. كان بحاجة ماسة للخروج، لكنه كان أعجز من أن يطلب شيئاً كهذا من مديره الذي بدا متشاغلاً عنه غير مصغ لآلامه.. أحدهم أقنع المدير بضرورة السماح له بالخروج وإعطائه ورقة لكي يراجع الوحدة الطبية.. ملأ النموذج وأعطاه للمدير الذي وقعه وأضاف قبل أن يدفعه إليه العبارة التالية: (علماً أنه كان مريضاً منذ يوم السبت الماضي). لم يفهم لماذا يكتب المدير هذه العبارة، لكنه تجاهل ذلك.. أخذ الورقة.. وضعها في جيبه وخرج.. في الوحدة الطبية انتظر دوره.. حين دخل إلى الطبيب نظر إليه بلا اكتراث.. أخذ الورقة منه وسأله مم يشكو؟

بدأ يشرح للطبيب ما يحس به.. لم يدعه يكمل.. سأله:

- هل كنت متغيباً عن العمل منذ يوم السبت الماضي؟

أجاب وقد بدأ يفهم الآن سر تلك العبارة.

- كلا.. إطلاقاً.. ليس صحيحاً.

بدا الطبيب غير مصدق لكنه أخذ القلم وكتب بسرعة شديدة على ورقة صرف الأدوية بعض الأسماء.. ومد إليه الورقة..

أحس ببعض الحرج.. لكنه غالبه وسأل الطبيب برجاء:

- ألا أستطيع أن أحصل على إجازة مرضية؟

جاء صوت الطبيب جافاً وهو يجيب ببرود:

- كلا.. نحن لا نمنح إجازات مرضية لأحد.

أخذ الورقة وخرج.. كانت الصيدلية مغلقة.. على أحد الكراسي جلس ينتظر.. (يا حزناً أعجز عن حمله) همس لنفسه وفي ذهنه طافت أفكار كثيرة..

(يا إلهي.. لو كنت ترساً في آلة لاهتموا بي أكثر.. لحاولوا إصلاحي قبل أن يعيدوني للدوران مرة أخرى.. ألا أستطيع أن أحلم أن أكون حتى مجرد ترسٍ في آلة؟!).. تنبه من استغراقه في أفكاره تلك

حين رأى الصيدلية تفتح.. نهض بتثاقل.. مد إلى الصيدلي الورقة بشكل آلي.. أخذ الأدوية وخرج.. لم تكن غير بعض المسكنات التي ما كان يحتاج كل هذه المعاناة للحصول عليها.. ركب سيارته.. بدأ يحس بسيل من الأفكار المظلمة المتلاحقة تتقاطر على ذهنه وتمارس ضغطها المرهق على روحه المتعبة.. خاف على نفسه أن يكون وحيداً.. توجه إلى منزل أحد أصدقائه.. لم يكن موجوداً.. أحس بخيبة أمل.. ها لم يعد أمامه الآن سوى أن يتوجه إلى مسكنه حيث يغرق في وحدته ويسلم نفسه بهدوء عاجز إلى حزنه وأفكاره.. فتح الغرفة.. ألقى بكيس الأدوية جانباً.. لم يضئ النور. خلع ثوبه.. علقه على أحد المشاجب.. دفع نفسه وهوى على السرير.. بصعوب بالغة سحب الغطاء، وغرق في عرقه وحزنه ووحدته القاتلة.. كان يريد أن يبكي. لكن الشجاعة لم تواته حتى على ذلك.. زمن طويل مضى نسي فيه طعم الدموع.. تمتم صوت بين أضلاعه (لو كنت قريبة مني الآن لأسلمت رأسي لصدرك الأخضر.. ولبكيت.. ولقلت لك كم هو قاتل هذا الشعور الذي أحسه.. ولأذبت على يديك

هذا الجليد الخامد في صدري كبركان.. وأسلمت نفسي ليدك كي تعبث بشعري وتعيدني لأزمنة الطفولة السحيقة).

فجأة انتفض.. قال بغضب..

ليفعلوا ما شاؤوا إلى العمل لن أذهب، حتى أريد أنا ذلك.. لن يجبرني أحد أن أفعل ما لا أريد وما لا أطيق.. في المساء كان في عيادة الطبيب.. استمع له وهو يحكي كل شيء.. في النهاية أعطاه حبوباً صفراء صغيرة.. قال إنها مضادة للاكتئاب.. أخذ الحبوب.. قال: شكراً.. وخرج. في الشارع كان يسمع أبواق السيارات تعلو.. والضوضاء تعاود انتشارها من جديد.. كان يسير وهو لا يحس بما حوله.. لم يكن يشعر بنفسه وهو يتأمل الحبة الصفراء المستقرة الآن في يده اليمنى بين سبابته وإبهامه.. لم يكن يشعر بنفسه وهو ينظر إليها ويبتسم بمرارة.

نـــــورة
عـبـداللـه
زيـــــلـع

(اليمن). نشرت قصصها في الصحف والمجلات. مجموعتها الأولى «حبات اللؤلؤ» تحت الطبع.

مديرة المدرسة

بصوت متذمر قالت المديرة:

- إن عدم النظام يسبب لرأسي صداعاً.

أثارت مقولتها عند بعض المعلمات سخطاً أخرس، وانصرفت في تقليب بعض الأوراق المطروحة على مكتبها بأناملها النحيفة ذات الأظافر الطويلة المزينة بصباغ أحمر كسا يديها جمالاً، ومن عينيها

الصغيرتين تشع قسوة غير مرضية، نهضت من مكتبها، تناولت حقيبة يدها وخرجت مترنحة في مشيتها كغصن واهٍ تلعب به رياح الخريف.

توقفت عند مدرج صغير يتوسط ساحة المدرسة، تلفّتت يمنةً ويسرة، رأت بعض الجنود جالسين في زاوية من الساحة كون المدرسة دائرة انتخابية، جرت كرسياً وجلست عليه، فرشقها الجنود بنظرة تنمّ عن سخريتهم بها، فاسترعى سمعها بعض من أحاديثهم، بدأ الملل يظهر عليها، فرغبت بنزع أشواكه الملتصقة بثوبها، أخرجت من حقيبتها الهاتف (السيار) وضغطت بأناملها بعض أرقامه، وبينما هي منشغلة بحديثها المتهامس اقتربت امرأة أثقل خطوات رجليها جسمها الكروي الممتلئ، ولم يستر لثامها لون وجهها الحارق من أثر الشمس، تمسك بيدها المتشققة من عمل التحطيب ملفاً وفي الأخرى طفلة في السابعة من عمرها قالت المرأة بصوت متساحب أخن:

- أريد أن أسجل ابنتي في مدرستكم لأنها قريبة لمنزلنا.

وبعدما أنهت حديثها استدارت بوجهها نصف استدارة نحو المرأة؛ ودون أن تمد يدها لأخذ الملف من يد المرأة قالت بزفرة باردة:

- الأعداد هائلة في المدرسة، لهذا لا نستطيع قبول ابنتك.

ردت الأم باتزان:

- كيف هذا. ؟ ومازال التسجيل في بدايته.

رمقتها المديرة بنظرة حاقدة مهذبة، نهضت وهي تمسك حقيبتها متوجهة إلى غرفة الإدارة وهي تردد:

- ليس لدي غير الذي قلته لك.

- انصرفت الأم وقد رطب عينيها بعض الدمع.

●●●

طالبتان يتلألأ على وجهيهما، نظارة صافية، وقفت إحداهما وانحنت لتمسح حذاءها من رذاذ الغبار العالق بهما، فرأت زميلتها بأن فتحة «البالطو» واسعة أكثر مما ينبغي، وليس به زرار يحكم إغلاقه، قالت باستغراب:

- ألا تخشين أن تراك المديرة؟

انتصبت الطالبة واقفة بزهوٍ قائلة:

- كيف وهي من ذوات الموضة؟

قاطعتها زميلتها:

- وإن كان ذلك صحيحاً، تظل هي المديرة وأنت الطالبة.

أدخلت يدها في جيب «البالطو» لتخرج منديلاً آخر.

- ثقي بأنها لا تجيد عمل شيء.

وبينما هما تتحدثان ولج رجلٌ ذو جسم عريض ممتلئ، يترقرق في عينيه الواسعتين خبث منمق، يمشي بخطوات واثقة إلى غرفة الإدارة يجرّ وراءه طفلة، وقف باسم الثغر أمام المديرة، مدّ لها بالملف المحتوي على شهادة الميلاد والتسنين تناولته بوجهٍ راضٍ، ودون أن تنبس بكلمةٍ قالت له بودٍ:

- على ما يبدو أن هذه الطفلة الحلوة ابنتك.

ربت بجسمه على المقعد قائلاً:

- نعم، لهذا جئت بها إلى مدرستكم الفاضلة.

رفعت يدها كإشارة لإحدى المدرسات بأن تجلب لها عصيراً للضيف وعادت للحديث معه.

- مجيئك شرف لنا.

أخرجت دفتر المستندات وسجلت اسم ابنته، فتح جيبه المنتفخ ودفع الرسوم المتفق عليها، وعيناه غائصتان في تقاسيم جسدها المتناسق القوام.

نهض واقفاً شاكراً للمديرة على حسن معاملتها، أطربتها كلماته المنمقة، ودعته بحرارة طالبة منه تكرار زيارته للمدرسة.

عبدالرحمن
النــــور

(السعودية). نشر العديد من القصص في الصحف والمجلات.

رائحة الحناء

بعد أن ركنت سيارتي إلى أحد جانبي شارع الـوزير، بـدأت أمـشـي مـن شـارع الـوزيـر إلى مـركـز سويقة التجاري وأنا أسحق قدمي المتعبتين.

الهواء يدخل إلى رئتي ميتاً ويخرج منها ميتاً وأنا أصارع نوبة ربو حادة انتابتني منذ يومين.. لم أذق طعم النوم خلالهما ولو لساعة واحدة.. بدت لي

وجوه الناس صلبة ملساء صامتة مثل وجوه جدران تلك الأسواق الرخامية.. شعرت بشيء يتكوم في حلقي.. وبدأت أسحب الهواء إلى داخل صدري بصعوبة شديدة كأني أسحب جثة هامدة ليس فيها حياة.

حركة الناس داخل السوق آلية رتيبة وكأنهم داخل لعبة من لعب الأتاري يتحركون فيها حسب برنامج يعاد تكراره بشكل آلي ومضجر.. رائحة البنزين قوية وكثيفة في هواء ذلك المكان.. شعرت بحلقي ينتفخ مثل بالون ويكاد أن ينفجر.

عندما مررت بذلك المكان في الثانية عشرة من عمري كان الهواء حياً يتقافز هنا وهناك.. كان الهواء حناء.. وكان الهواء ريحاناً.. وكان الهواء رائحة طين كريم ممزوج برائحة الماء الطاهر الطهور.. وكان الهواء رائحة بخور جدي وهو يصطحبني معه إلى صلاة الجمعة في مسجد الإمام تركي بن عبدالله.. وكان الهواء رائحة قلوب سمحة وهي تبذل نفسها لمساعدة المحتاجين بوجوه ملامحها حرة طليقة كريمة تلقي السلام على من تعرف وعلى من لا تعرف.. كان

الهـواء فـي ذلـك الزمـان فـي قـمـة عـنـفـوانـه.. يـأخذني ويـذهب بـي إلى مـا يـشاء وأشاء بيسر وسهـولة.. أمـا هذا الـيـوم فـقـد شعـرت أن الـهـواء يـدخل إلـى صـدري ميتاً ويخرج منه ميتاً.

ذهلت عـن مـا جئت من أجله وأنا أذرع الطريق بين طـرفـي ذلك السـوق. فجأة.. عـنـد الطرف الآخر من السـوق بـاتجاه الصـفـاة، فجأة وأنـا أمـشـي ببطء شديد شعـرت برائـحة حنـاء تـركض مـن بعـيـد ثـم تسـقـط عـلى وجـهـي وتـبـدأ بـتـقـبـيـل أنـفـي وفـمـي وعـيـنـي، وجـاءت رائحة ريحان تركض خلفها وحضنت جميع جسمي. لم أصـدق نـفـسـي بـادئ الأمـر، شعـرت بـالـهـواء يـقـف منتصباً في عز نشوته وقد عادت إليه الحياة.

... سبحان من يحيي العظام وهي رميم.

كـانـت تـلـك الـرائـحـة تمـتـد عـلـى طـول خـط رقـيـق مستقيم وقد أمسكت بتجاويف أنفي وبدأت تسحبني معها بهدوء على طول ذلك الخط الرقيق المستقيم.

مشـيت خلف تـلك الـرائـحة، وعبـرت الشـارع من جانبـه إلى جـانبـه وأنـا أمـشـي عـلى هـدي رائـحة ذلـك

الخط المستقيم. دخلت تلك الرائحة حي شلقا فدخلت خلفها، ومشيت بين بيوته الطينية القديمة المهجورة. انعطفت تلك الرائحة بهدوء إلى اليمين، فانعطفت معها وواصلت السير، انعطفت الرائحة إلى اليسار فانعطفت إلى اليسار وسرت أنا وهي بمحاذاة جدار مقبرة شلقا، ومن فم فتحة صغيرة في جدار المقبرة دخلت تلك الرائحة، فجمعت جسمي ودخلت خلفها ووقفت أنا وهي في منتصف المقبرة القديمة المهجورة.

هناك، كانت امرأة عجوز تجلس محنية ظهرها قليلاً إلى الأمام ونصف وجهها المكشوف يكشف عن قرن من السنين، وقد بسطت أمامها بعض الأشياء على الأرض. مشيت نحوها ببطء وأنا أتعجب مما أرى. وقفت أمامها مباشرة على بعد مترين.

أشارت إلي بيدها وقالت: تعال يا ولدي.. اقترب.. لا تخف يا ولدي.. لا تخف..

اقتربت منها قليلاً ثم ألقيت عليها السلام بصوت مكتوم يرتجف، وبقيت واقفاً.

قالت: اجلس يا ولدي.. اجلس.

جلست، وأنا أنظر مستغرباً إلى وجهها تارة وإلى يديها المغضبتين البيضاوين تارة أخرى.

قالت بصوت ودود: ماذا تريد يا ولدي.. لدي حناء وريحان، ولدي دهن عود.. لدي كل ما تريد.. قل لي ما تريد؟

سألتها: أنت تجلسين يا خالة وسط مقبرة قديمة مهجورة.. هل أنت من الإنس أم من الجن؟

ردت: أنا من الإنس يا ولدي، أعاذنا الله من الجن.. أنا من الإنس.

قلت في نفسي: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.. هل فقدت عقلي.. أم أن هذه هلوسة المرض؟! ثم وقفت وأدرت ظهري لأنصرف.

فجأة سمعت صوتها وهي تسألني بمودة واضحة:

يا ولدي هل أنت ولد عبدالله؟

فاجأني سؤالها، فاستدرت إليها وقلت: نعم.. ولكن كيف عرفتني؟

قالت: من مشيتك يا ولدي.. من مشيتك.

قلت لها: وهل يعرف آباء الناس وأخوالهم من مشيتهم يا خالة؟

قالت: أنا من آل مرة يا ولدي، وكنا نسكن بجوار بيت جدك - الله يرحمه -، ذلك الرجل يا ولدي إذا أقبل يمشي.. كانت مشيته مميزة، يمشي مثل مشية جمل عربي كريم، يرفع رأسه عالياً ويمشي بشكل مستقيم، لا يلتفت ولا يتراجع ولا يتحدث مع أحد إلا إذا واجهه من يريد التحدث إليه وجهاً لوجه.. وأنت عندما أقبلت كانت مشيتك مثل مشية ذلك الرجل، فقلت لنفسي هذا أكيد من ذرية ذلك الرجل.. الله يرحمه وأموات المسلمين.. كان رجلاً يا ولدي.. كان رجلاً.

شعرت بعضلات جبهتي تنقبض وتتجمع في نقطة واحدة.

قالت: لا تستغرب يا ولدي أنا كنت الربعية ليلة زفاف أمك إلى أبيك وأنا التي قطعت حبل سرك يوم أنجبتك أمك.

قلت لها: يا خالة من أنت ومن تكونين، ثم

كيف تجلسين هنا في هذه المقبرة المهجورة لتبيعي حناءك وريحانك وأشياءك وليس هنا سوى الموتى المقبورين؟

ردت علي: يأتيني رزقي يا ولدي.. سبحان من يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطانا.

قلت لها: لكن يا خالة، الناس الأحياء هناك في السوق وليس هنا في هذه المقبرة القديمة المهجورة! ابتسمت وبدا طرفا ضرسين قد شاخا، قالت: هذا ما تظنه يا ولدي.. لا عليك يا ولدي.. لا عليك.. تعال يا ولدي.. شم رائحة هذه الحناء.. هذا أجود أنواع الحناء.

ومدت كفها وبه شيء من الحناء. وأقبلت أنا ثم جثوت على ركبتي، وشممت رائحة الحناء، كانت رائحة تفوح منها روائح أخرى غامضة، لم أدر ما هي، ولكني شعرت بخدر عجيب.. وشعرت برئتي تفتح جميع نوافذها ومسامها وشعرت بالهواء يتقافز حياً في جميع جنباتها.

فتحت لي العجوز ذراعيها وقالت: تعال يا ولدي.. تعال ولا تخف.

جلست عند قدميها، ثم استلقيت على جانبي الأيمن ووضعت رأسي على فخذها الأيمن وأنا أشعر بخدر عظيم يهبط داخلي في سحابة من نوع طاغ لذيذ، فأغلقت عيني، ثم نمت.

سـلـوى
أبـو مـديـن

(السعودية)، لها مجموعة قصصية لم تطبع بعد.!

أنين الكلمات.!

عند ذاك المنعطف كان يقف صبي صغيرُ. لا أعلم بالضبط تقدير عمره.. كان أشعث الشعر، أغبر الوجه، مهلهل الثياب.. يقبض بيديه الصغيرتين على قطعة خبز ناشفة.. يتأملها بين الحين والآخر..!

تقدمت تجاهه خطوة.. بل خطوتين.. وفكرت.. ربما سأخيفه.. وما أن رآني حتى انكمش في زاوية المنعطف.. سألته:-

من تكون..

أجاب:- من هذا الكون الفسيح..!

قلت:- أي هوية تحمل؟

قال:- لا مأوى لي.. لا أرض.. والخوف يلفني..!

قلت:- أفصح..

قال:- فقدت الوالدين..!

قلت:- وماذا عنك..؟

قال:- أبحث عن وطن يحتويني..!

قلت:- كل بلاد العالم العربي وطنك..

قال:- لا أعتقد..!

قلت:- ماذا تعني.؟

قال:- جائع.. محروم.. مسلوب الحرية..!

قلت له:- كيف.؟

قال:- أعزل..! قتلوا أبرياء بلا تعليل.. ثقبوا الفضاء منذ قليل، قتلوا الأفكار. مارسوا الدمار، وآذوا الصغار.. فهل من وسيلة لنعيد الاختيار!؟

قلت:- حروفك تحمل أوجاعاً وأنيناً..!؟

قـال:- هذا الـعـالـم ومـا يـحدث فـيـه بـأسـره.. فـأيـن الأمان..؟!

قلت:- ثمّ الأمان ولكن لنبحث عنه..؟

قال:- أريد الاتحاد.. ففيه القوة..!

قلت:- نعم أصبت الحقيقة.. ولكن كيف أنت هنا..؟

أجاب:- مـثـل أي طفـل رمت بـه الظـروف إلـى وطـن معدم، وسُلبت كل شيء.. وها أنا أحمل قلباً مليئاً بالحب والكراهية..!

قلت:- لا أعـتقد، أن من يـحيا حيـاتك سينعم بحيـاته مادام يحمل أحقاداً وكراهية.

قـال:- نعـم أحمـل أحقـاداً للمعـتديـن، للسـالبين.. لمـن حرمونـا الـراحة وطغـوا فـي أرضـنـا، أحمـل حـقـداً لمـن مـارسـوا عـلـينا قـهـراً واضطـهـاداً، لـلطـاغين المعـتديـن للذين فـقدوا الضمير الحسي.. للذين هُزموا من صلاح الـديـن.. وسـأحـمـل حـجـراً مـن سـجـيـل وأكـيـدُ بـه الغاشمين!

أعـرفـت الآن هـويـتـي..؟! هـذا جـرحـي.. وهـذا ألمي.. حتى أملي أضحى سراباً!

قلت:- لا.. مازال النصر حليف المؤمنين بقوة إيمانهم والأمل معقود في الغد بإذن الواحد الأحد فاصطبر.!

قال:- انظري إلى عيني.. إنها تحمل جغرافية الوطن العربي أجمع! ألا تقرئين ذلك.؟

أجـبـت:- نـعـم أقـرأه بـوضـوح.. ولـكـن كـيـف لـي بمساعدتك..؟

قـال:- الـعـودة.. ثـم اعـودة.. ولـن أبـرح أرض أبـي وأمي، ومحمد الدرة.!؟

قلت:- وماذا تريد أيضاً..؟

قال:- اكتبي حكايتي.. ربما يوماً ستذكرينني.. يوم أحمل على الأكتاف أو تشاهدين صورتي بين جموع الضحايا.! يومها أطلقي الحمام الأبيض وتذكري غصن الزيتون! هذه رسالتي.. أخبري عنها.. واذكريني

اكتبي.. ولا تنسي.. وصيتي..!

قلت:- سأكتب.. أيها البطل.. سأكتب يا رمز حيفا والقدس..!

وحمل رغيفه اليابس وحفنة من تراب أرضي، وقبض عليها بكلتا يديه الصغيرتين.. وتوارى عن الأنظار...!!!

* * *

حسين علي محمد

مصر. ناقد. صدرت له مجموعة «أحلام البنت الحلوة» (1999).

عرس هنادي

ضحك الكهل سائق السيارة «البيجو»، وهو يخبرني أن هنادي تزوجت.

كنت في طريقي عائداً من السويس إلى القرية في رحلة سريعة من السعودية حيث أعمل محاسباً في شركة كبيرة للمقاولات بالرياض. أصرّ الكفيل أن أعود في خمسة عشر يوماً.

قال الكهل:

مسكينة! ماتت أمها، ومات أبوها، وكانت مقطوعة من شجرة على الرغم من أنها ذات عشرة إخوة يسدون عين الشمس، منهم وكيل النيابة، والمهندس، ومحصل الأتوبيس، وسارق كيزان الذرة ليشتري علبة سجائر من دكان الحاج «محمود المنيسي»!

كنا في الصف الثالث الثانوي، وكانت مصر تخوض حرب 1967 حينما دخلت علي صارخة:

- أخي شوقي يريد أن يزوجني من «عبدالفتاح بك»!

نظرت بفجيعة لها!

كان أخوها الذي حصل على ليسانس الحقوق قبل عام، وأجبره أبوه على أن يطلق الأرملة التي تزوجها في القاهرة - والتي قيل إن عمرها في عمر والدته، وأن لها أولاداً بشوارب يقف عليها الغربان - قيل إن هذا الأخ المحروس، يريد أن يزوجها لتاجر الأقطان، وعضو مجلس الشعب الأرمل ذي الستين عاماً حتى يسعى لتعيينه وكيلاً للنيابة!

كانت زوجة أبيها البيضاء الجميلة، ذات الشعر الأصفر الطويل تدّعي عليها أقاويل كثيرة؛ فقد جعلتها في حكاياتها تسرق «جمعة البامية» وتبيعها لتهديها للولد محسن السرسي - زميلها القديم في مدرسة التجارة والذي رسب ثلاثة أعوام في الدبلوم - وادّعت الجميلة، البيضاء، ذات الشعر الأصفر - أن هنادي سرقت ملابس المحروسة لتعطيها لخالتها «فاطمة» التي تربي أولادها اليتامى من الخدمة في البيوت، والسحت، والتعديد على الميتين، وسرقة الحقول التي تنام نواطيرها!

كنا هناك عند السنطة العجوز نلعب، كنت أصنع أفراساً من الطين، وكانت «هنادي» تعمل عروساً لها ضفيرتان طويلتان، وكراسة صغيرة وقلم رفيع من البوص، تجتهد أن تلصقه فوق كتلة الطين.

كنت أعمل للفرس عُرفاً، وكانت تصنع للعروس نهدين صغيرين ينزل منهما اللبن شهياً كما لم أذقه من قبل من «بز» جاموستنا العفية!

سكت الكهل متعباً، وجدني أغمض عينيّ، وأنام، وصوت «أم كلثوم» الأثير يردد أغنية «سيرة الحب»

الـتـي أحـتـفـظ لـهـا - مـع «وطـفـاء»، أيـن هـي الآن؟ - بأجمل الذكريات!

كنت ألعب مع هنادي، جارتنا، بعد الخروج من الدرس عصراً، ولا أذهب للبيت للنوم إلا بعد أن تنام.

كانت قطة بيضاء صغيرة، وأنا كنت أحب القطط والكلاب الصغيرة، وأجعلها تنام في أحضاني!

في الصباحية ذهبت إلى «هنادي» لأعطيها النقطة عشرة جنيهات، قالت لي - وبقايا لون أحمر رخيص على شفتيها الباهتتين -:

- أمازلت تذكر أفراس الطين؟

كنت الأول دائماً، وكانت بين بين!

جاءتني مذعورة حينما علمت أن «وطفاء» - ابنة ضابط النقطة الذي يعمل الجميع له حساباً، تهتم بي في الدرس، وتريد إغوائي، وأهدتني منديلاً أحمر، وأنا خارج من صلاة التراويح!

قلت لهنادي: أخاف من بنات الضباط، فأنا فلاح أهوى القطط البيضاء والكلاب السود الصغيرة وأحضان

أمي! وأخاف من المرور على نقطة الشرطة التي تمتلئ بالعفاريت!

بكت «هنادي»، فقد ماتت أمها صغيرة، وزوجة أبيها ذات الشعر الأصفر الطويل الذي يغطي فخذيها ليس في أحضانها مكان متسع لهنادي، فقد كانت تنجب كل تسعة شهور ثلاثة أولاد!

قلت، وأنا أتطلع إلى ذلك الزمن الجميل البعيد:

- أمي مريضة يا هنادي، وقد جئت من السعودية لأراها، والحمد لله أن أدركتها..

- وكيف حالها الآن؟

- متأخرة.. لم تعرفني.. ربنا يسهل عليها!

قالت لي: إن عرائسها - من الطين والحلوى - في الشباك تنتظر أفراسي لتُزفّ عليها!

صمتُّ، فقد كنت ذا حلم كبير، أن أحصل على الدكتوراه في المحاسبة! وأن أتزوج «وطفاء» بنت المأمور، وأن أسكن المدينة، وأترك الريف الذي يمتلئ بالذباب والبعوض والحفاء!

قالت لي: إنها ستشوه وجهها بالنار إذا اقترب منها أحد غيري، وستشوه وجه «وطفاء» إذا اقتربت منها، لكنها لم تجرؤ على تهديدي بسكين أو خلافه، ولم تصرخ في وجهي!

كانت تهدّد كأنه تحلم!

كنت بدأت أترك الشعر والأحلام، وأبحر في قارب الأرقام، فتخليت عن الوردة البيضاء ذات دبلوم التجارة، وحلمت بفاتنات - منهن «وطفاء» يسكنّ في قصور المدينة الكبيرة، ويركبن السيارات التي لم تدخل قريتنا أبداً، وجوههن بيضاء سمينة، وخدودهن حمراء كورود حديقة صديقي منصور، أو كالبيض الملون.

وسمعتُ زغاريد خطبة «هنادي» إلى «عبدالفتاح بك» عضو مجلس الشعب.

وقابلتهما في ميدان «رمسيس» بالقاهرة يتجاذبان الحديث الضاحك، في ود حقيقي!

وذات صباح، لا أدري لونه، مات عضو مجلس الشعب بعد أن صار أخو هنادي وكيلاً للنيابة، وارتدت «هنادي» السواد، وأضربت عن الزواج!

لمحت دمعة سوداء تلمع في عينيها، لكنها أدارت وجهها لتمسحها، وغيّرت مجرى الحديث:

- وهل ستعود ثانية إلى السعودية؟

- العمل يحتاجني.

شهقت:

- وأحضان أمك؟

لم أجب، فقالت بود و وجهها يمتلئ بمساحات للفرح:

- أمازلت تذكر الأفراس الطينية، وأشجار السنط، وقططك وكلابك الصغيرة؟! كانت آخر أضواء الصباح تنسحب من الغرفة، وكنت أمسح دمعة كبيرة من العين:

- ذلك كان زمان اللعب، والدروس، والسنطة العجوز.. يا هنادي!.. ذهب وأخلى مكانه للحزن والبعاد!

توقف الكلام بيننا، فقد سمعت اللغط في بيتنا المجاور، وصراخ شقيقاتي اللائي جئن من القاهرة يبكين أمي التي لن أراها مرة ثانية!

حسب الله
يحيى

العراق.

الرسـائل

في المساء العميق، اعتاد رهن أوقاته للمذياع، يعطي له كامل الإصغاء، فيما ينصرف إلى تنظيم كتبه وأوراقه والرسائل القديمة التي كان قد تسلمها في أزمنة مختلفة وقد تراكم عليها التراب وخيمت عليها خيوط العناكب. كان يحس أن الوقت يمر سريعاً.. سريعاً وليس بمقدوره أن يلحق به، وكان يعتقد أنه سيجد الوقت مبذولاً أمامه بعد حصوله على التقاعد من وظيفته التي مضى

على استمراره فيها أكثر من ثلاثة عقود.. إلا أن ا لوقت مازال يعجل بمسيرته.. لذلك فضّل أن يستثمر أوقات نشرات الأخبار والتقارير، بينما ينصرف لتنظيم غرفته المبعثرة بالأوراق والكتب والمجلات.. والتي وجد أنها قد تحولت إلى عبء على عينيه وذاكرته، كما لم يعد بمقدوره العثور على كتاب أو صورة أو مجلة.. يعرف جيداً أنها موجودة في مكتبته.. كما واجه الخجل والعتاب من أصدقائه وهو يعدهم بكتاب ما، موجود لديه، لكنه لا يعرف موقعه، ولا كيف يجده بين مئات الكتب التي تضمها مكتبته.

كانت هذه الغرفة، هي مكانه الأثير وعالمه السحري وموطن كل أسراره وخصوصياته وبوحه الذي لا يمكن أن يخرج من باب أو شباك.. هذا هو المكان السري الوحيد الذي يطمئن إليه ويحتمل شؤونه وشجونه.

كان يفرحه أن يعثر على كتاب ظل يبحث عنه من قبل دون جدوى.. حتى يشتري نسخة ثانية منه.. فيطمئن، وقد لا يجد نسخة أخرى ولا طبعة أخرى من كتاب يحتاج إليه.. ويعلم أنه ينام بين هذا الجمع من

الكتب.. دون أن يعلن عن نفسه، أو يستيقظ من نومه وعزلته وسكونه.. وهو الذي كان يرى فيه الصديق الأثير الذي يقصده متى يشاء، ويتركه متى أراد.. لكن هذا الصديق الحميم بات يفضل التخفي عن عينيه، والابتعاد عن أحلامه عند الحاجة، وإهماله عندما لا تكون هناك حاجة إليه..

أحس.. بمسؤوليته وبأن صديقه الكتاب له الحق في اتخاذ قراره بالتخفي، وحتى يعالج هذا الجفاء وهذا الإهمال المقصود أو غير المقصود، رأى أن يغتنم الوقت ويتوجه لإزالة الغبار عن صديقه الكتاب وأن يضعه في المكان الذي يليق به، حتى إذا ما ناداه؛ أشار الصديق الحميم إلى وجوده بكل هدوء وسرور واحترام.. وصار بين يديه وتحت أنظاره.

في المساء العميق.. كان صوت المذياع يعلن عن حروب وفيضانات وزلازل وحرائق وتظاهرات.. وأحداث هنا وهناك، كان العالم ساخناً.. وتموز يلتهب والمروحة السقفية تبدو متعبة وهي تواصل الدوران ليلاً ونهاراً في عمل متواصل.. كأنها قد أصيبت بالصداع، وبدت

منهكة تئن من علّة أصابتها.. أشفق عليها، جعلها تستريح، تهدأ ولو لوقت قصير.. فللآلة روح حيّة ينبغي أن نحترمها ونعاملها بحنيّة.. حتى تبادلنا الحنان وترأف بنا وتعرف حاجتنا الماسة إليها..

هكذا كان يخاطب نفسه ومروحته السقفية التي علاها الغبار والإهمال منذ سنوات طويلة.. لم يعد يعرف كم بلغ عددها.

صوت المذياع يحاصره بالأحداث الآنية الساخنة، والصور والرسائل والكتب.. تعيده إلى ماضٍ أقل هدوءاً، أقل.. أقل إثارة للمشكلات، وأحياناً.. أجمل وأكثر بهجة، أكثر استعادة للذكرى، أكثر إثارة للمشاعر والأحاسيس، أكثر إدراكاً وانتباهاً على إيقاظ ما كان منسياً ومغيّباً وبعيداً.. بعيداً جداً عن الذاكرة التي خيم عليها النسيان.. كما تراب القبور المنسية..

في هذه الأثناء، التمت كل حواسه.. نظراته وقعت على خط ألفه جيداً، فتلمس الحروف، كأنما يبحث فيها عن حياة، عن حركة ما، أصابعه راحت ترتجف.. وسريعاً

فتحت غلاف الرسالة، وراحت الذاكرة تستعيد أيامها الأسعد من السعيدة.

رآها بين السطور، في قلب الكلمات، في صميم الحروف.. وقد تحولت إلى كائنات حيّة حيّية، تسأله بخجل، تناديه بألم وإنكسار ورغبات مكتومة، تهتف به، تراه، تستنطق الخفي والساكن والمعتم والمجهول والغريب في حياته.. وتتجاوز مسافات الأزمنة والأمكنة، وتصغي إلى صمته.. صمت ميت أكلته الأيام وحوّلته إلى كائن هش، تضاءلت فيه ومضات الحياة، حتى بات لا يدرك الوقت ولا يميّز بين الليل والنهار، وبات كل شيء حوله يختنق حدّ الفناء.

خجل من مظهره، من شيخوخته وعجزه ومرضه، خجل من هذا الانطفاء الكلي الذي بات يهدد حياته ويحولها إلى مجرد زمن يستعيد نفسه، فيما تستعيد أوجاعه دقاتها في رأسه وحواسه والاختناق في صدره.. حتى بات يتوسل الأماني أن تمنّ عليه بالنهاية.. النهاية الأبد، لكنه يخشى أن يبوح بهذه الأمنية التي باتت تشغله في كل الأوقات، حتى لا يكون نقيضاً مع نفسه،

مع أحاديثه إلى أولاده وزوجته وهو يزرع فيهم الآمال الكبيرة.

هذه الرسالة، أيقظت الماضي كله، أخرجت السنوات العتيقة وأزالت عنها التراب وجعلتها تتنفس الذكريات بالهدوء.. الهدوء السعيد الذي توسمت به. قالت رسالة الماضي.. إنها تحبه، وتراه أفضل الناس وأصدقهم وأكثرهم قرباً إلى نفسها وقلبها وذاكرتها.. ولا يشغلها شيء مثل رؤيته والجلوس أمامه تحدق في عينيه، وهمس كلماته.

وكان يقول لها.. إنه يحبها، وحبه امتلاك، وامتلاكه يعني الذوبان فيه.. يحفظها في مكان سري.. وليس لأحد قدرة على اكتشاف وجودها في داخله.. كتاب سري.. ليس بوسع أحد أن يقبض عليه متلبساً بالحصول عليه وقراءته.. فما فعله.. كان أن حفظ الكتاب كليّة وبات من المستحيل أخذه بجريمة قراءة كتاب ممنوع..

سألته مرة: هل أساوي كتاباً عندك؟

أجابها: وهل يساوي الكتاب أحداً سواك؟

وراح يقرأ في العتمة.. بعد أن عمّ الظلام، وحلّ التوقيت المبرمج وغير المبرمج.. - لا يعرف - لقطع التيار الكهربائي.

نادته الزوجة، ناداه أولاده واحداً بعد الآخر، لم يكن على دراية بالأصوات، وظل يقرأ رسائل حفظها وكتباً سجينة، فتحت نوافذها وراحت تبصره.. حسبوه نام من تعب، فلم يفضلوا إيقاظه، وحسب أن الظلام ستار يحميه من الرصد والانتباهات والأسئلة والفضول.. واحتفظ بهدوئه.

أسعدته العتمة لأول مرة.. فيما كان يوظف أوقات انقطاع التيار الكهربائي للحديث إلى عائلته في موضوعات كثيرة.. حدّ الملل، حدّ أن يبادر أحد أبنائه أو زوجته بتنبيهه: لقد حدثتنا بهذا الموضوع.

... وهو، هو، حتى الآن ليس بوسعه أن يقول هذا لأحد.. ستون عاماً ومازال الخجل قرين نفسه وحياته وانطباعات وجهه.. وستون عاماً وفيه الكثير.. الكثير من الخجل على طي صفحة من كتاب، أو إسكات حروف سمح لها بالحديث بعد أن أخرجها من مغلفها.. ذلك أن الكتب والرسائل، كائنات صديقة وحميمة.. ليس من

السهل إسكاتها.. بسبب غير مقبول يتعلق بالظلام.. أليس بمقدور الأصدقاء أن يتكلموا في قلب الظلام، فيشع القلب ويتبدد الظلام..؟

ما كان بوسعه أن يسكت صوتها، أن يضيّع وجودها.. وهو الذي افتقده أعواماً طويلة حسبها الزمن كله، حسبها الأمل.. الأمل المستحيل الذي خرج عن استحالته وجاء إليه في مساء أجمل بكثير مما كان يرتجيه.

كانت صاحبة الرسالة تمني نفسها بلقائه، وكان هو.. يمني نفسه بلقاء هو الحياة كلها.. كلها مجتمعة.. والافتراق هو المستحيل.

حدثته عن قرنفلة تزين الزمان والمكان ويستحيل عليها العطر.

حدثها عن الكتب الأثيرة التي تملأ الكون فكراً وإبداعاً وتستحيل على عيون تتوق إليها.. كما الهواء، كما الماء، كما الحياة..

قالت.. كيف نضم الأشياء التي نحبها إلينا.. هل سيظل هذا.. الصعب في حياتنا، هل سنبقى نتمنى فحسب..؟

قال.. كـل الأسئلة تسـتغـيث، وهي تـبحث عـن أجوبة.. كما الطير يبحث عن جناحين يريد أن يطير بهما.. فإذا الريح العصية، وأهداف الصياد بالمرصاد.

كان به شغف كبير إلى الحديث طويلاً، إلى رسالة تملأ كل فضاءات غرفته بعد أن سكت المذياع، وسكتت معه أنباء الكوارث والحروب.. وحلّ صوت الحشرات الطيارة والقفازة والزاحفة.. كل تجد حريتها في الظلام.. وهو، هو الكائن الضوئي الوحيد الذي بات يهمس إلى نفسه في العتمة.

ظل يقرأ بصوت خافت مهموس، كل رسائلها التي حفظها وجعلها في خزانة ذاكرته وليس بوسع أحد اكتشاف وجودها سواه..

وراح يتوسل الظلام أن يبقى حتى يخرج المُخبأ، حتى يعلن المُخبأ عن نفسه، حتى تكون النفس بكامل بهائها وفرحتها وهي تلتقيه في هذا المكان الأثير.. لكنه أثير فجأة، جفّل.. كأنما مسه جمر.. فاكتوى وهو يسأل:

- هل كان عليه أن يكشف عن جنته السرية، عن فردوسه النادر أمام كل هذا الجمع من الأصدقاء

الذين يكن لهم الاحترام ويجمعه بهم ساعاته الأجمل..؟

.. أحسها تبتسم، تساءل.. أكانت تشك في سريته وإخلاصه وكتمانه؟ دهش من ابتسامتها.. توسل إليها أن تفصح.. توسل الاطمئنان أن يقول له شيئاً، توسل الوقت أن يستعاد، أن يرجع إلى شبابه، توسل العطر أن يقترن بألوان القرنفل، والكتب أن تثق بالعيون.. وهي أن تراه كما يراها.. بعيون مفتوحة على الصدق.. وأن يظل يقرأ رسائلها ويحس لمسات أصابعها على الورق.. وعيونها.. العالم الذي يرى على الورق، وعلى الورق السعيد بلمساتها، وعلى الحروف تزهر في مداد لا يجف..

وتوسل.. ثانية إلى دمه أن يكون بين أصابعها.. حبراً تكتب به رسالة حب إليه، فتعيد إليه دمه، رشاقة دمه الذي يئن من جفاء، ويختنق بثاني أوكسيد الكربون.. بعد غيابها الذي لم يكن يصدقه أبداً.

.. وجاء صوت الصراصير مزعجاً، يغتال الصمت الجميل الذي كان يحتفل به وهو.. بين الكتب والرسائل والأشواق والآمال.

كان بـه عطش ملحّ على اللقاء بها، على أن تكون قريبة منه، في همس ناعم سري.. ليس لأحد فيه نصيب وليس للعالم كله شأن بهذه الأسرار المهموسة التي تقول الكثير وتعني الكثير وتتجمل بما لم تتجمل به كل الحدائق وكل الفاتنات.

.. سمع دقات على الباب، أهملها.

سمع الإهمال الدقات، فأراد أن يتمرد على هدوئه، والإعلان عن نفسه.. نكهته.. أحس الإهمال بالاختناق.. وتحرك معلناً عن حضوره.

- أبي.. هل كنت نائماً، ناديناك كثيراً.. لكنك لم تجب، حسبناك نائماً، فلم نكن نريد ازعاجك..

خاطبه الابن الصغير.. الأقرب إلى مشاعره.

- أبي جاء الكهرباء منذ زمن.. عندما كنت نائماً.

قال: من أرسل في طلب الكهرباء، أرجوك.. أرجوك يا ولدي العزيز، دعه يذهب، لست بحاجة إليه..

- بابا.. منذ متى أجبت الظلام؟

قال: لست أحب هذا الكهرباء الصناعي.. أنا، أنا لي ضوئي الخاص بي.

- بابا.. لماذا لا تشاركنا بـه.. أنت تحبنا.. شاركنا بـه..

قال: كـهربائـي.. يا بنـي، لا يضـيء إلا لـي، لي فقط.

- نحن لم نره ولو مرة واحدة..!

قال: ضوئي لا يراه سواي.

.. وخرج الصغير هاتفاً.. ماما، أبي، أبي.. إما أن يكون قد جنّ، أو هو.. هو المسؤول عن إشعال أو إطفاء الكهرباء.

عجبت الأم.. هتف الأب: لا.. لا، إنما هناك ضوء في أعماقي أراه ويراني.. ضوؤه من قلبي، وقوده من أشواقي..

وقف أفراد العائلة.. وهم في دهشة ينظرون إلى رجل كانوا يعرفونه...

بـــســـــام
الــطـــعـــان

سوريا.

غواية الرخام

هل ما حدث كان من صميم أوراق الماضي؟ هذا لا يهم. ثمة قرون من النسيان ترقد على حافة الألم. هكذا يبدو لي أنا الجالس خلف طاولة مليئة بصور..، أتصفح أوراق الماضي في متعة تامة، أطير إلى حيث الفضاء والشمس، وما ألبث أن أبعثرها هناك، ثم أعود لأرشف الشاي، وأدخِّن سيجارتي باسترخاء تام، حتى أنني لا أفكر بشيء سوى بالمشهد الذي أمامي.

حيث (شبه) رجل يقف على الرصيف المقابل لي، ينظر إليَّ، من كلفه بذلك؟ حتى أنني سألته عن سبب وقوفه، فمط شفتيه نحو الأمام، ثم مضى.

هل ما حدث، كان من صميم الماضي دون أوراقه؟

كل ما في الأمر، أنني أزحت الستارة في تلك الغرفة البعيدة المسوَّرة من طرفها الشمالي بالألغام والأسلاك الشائكة وحرس الحدود، فبدا لي عالم آخر.

كانت على منصة المسرح الرخامية الصقيلة وردة ملتفة على بعضها، تتنفس بأمل، وشعاع دافئ يبعث منها، ثمة نتوء صغير ينبثق من أحد الأطراف ويعلو أوراق الوردة الخارجية، أهداب من الندى النشوان، كان الأمر بالنسبة لي لا يطاق.

لم يكن في المسرح سوانا، أنا والوردة ذات الأوراق المستفزة، يبدو أنني تهت كثيراً، ودخلت في متاهات كثيرة.

سمعت نداءات واضحة، فنظرت من النافذة، رأيت الوردة تنبض مثل عصفور يرفرف بأجنحته في الفضاء، نظرت من نافذة أخرى، فقابلني امتداد اختفت نهايته

علـى بعد عشـرات الأمتار، وعلـى مبعدة من النـافذة بخمسة أمتار، أو أكثر بقليل، كان ذئب يقف فوق حجر الكراهية ويراقب. مَنْ أعطاه سلطة المراقبة هذه؟ مَنْ؟

حين أسدلت الستارة، كانت الوردة تفتح أوراقها وتعلن نفسها أغنية وضحكة عذبة، وبعد أن تأكدت من أن الأبواب كلها مغلقة، طلبت مني أن أبعثر أوراقها.

ولكن هل استجبت لها؟

لا أعرف في أي مكان كنت، هل كنت أعلّم وقتئذ في القرية القريبة من الحدود؟

يبدو لي ذلك، وإلا كانت تلك الوردة تمخر أنصاص الليالي بكل دروبها الوعرة وتأتيني.

كنت أطلق أجنحتي، وأستعد لملاقاة هدير أمواجها بقواي المتواضعة، وحين كانت تقذف رحيقها دوائر تنتشر من حولي، كنت أتخلص من خوفي شيئاً فشيئاً، ثم أمتص رحيقها بإدمان، وأدخل بين حلواها ونجواها، وأخدشها بلطف، فتلم أضواء تلك الليلة وتمضي وهي مكللة بالنشوة، ومنقوشة الأوراق.

سمعت نقرات خفيفة على زجاج نافذتي، فتذكرت

الذئب الذي كان يربض بالقرب منها دائماً، وخاصة في الليالي الماطرة، نظرت إلى الخارج فلم أر الذئب، وإنما رأيت يدها مرمية هناك، فتزين وجهي بخرائط من الخوف.

بعد قرون، ها أنذا أسترخي باطمئنان على هدوء الرخام الذي يشع تحت أضواء مصباح كهربائي، على مبعدة من يديَّ، ثمة غابة ملتفة بعتمة غامقة، وعلى حافة الغابة، ثمة نافذتان تضيئان وجهي، على يميني يمتد نهر صغير، يتقد من حولي، ويتفرع إلى سواقي صغيرة تروي عطش تلك الأرض، وعلى يساري كذلك ثمة نهر يماثله، وجغرافيا الرخام تنتشر شاسعة.

أسبح في النهرين، أتأمل الرخام الذي ستنعكس فيه شواطئ من نار وجلنار، لكن رجل رديء يقطع علي هذه القصة الرديئة، لا أدري من أين انبثق هذا الرجل.

كان الذئب الرابض خلف النافذة، يهددني بعوائه المستعر والغامض، ويحاول أن ينصب أمامي جداراً ويطيّر أحلامي، وكنت وفتئذ أنشطر إلى أنصاص وأرباع، وأحمّي سيخاً، انتظرت حتى احمرَّ تماماً، فاقتربت من النافذة بهدوء، وعلى غفلة منه أولجت السيخ

بكل عنف في صدره. فأكل السيخ الأحمر، الشعر والجلد واللحم، وتناهت إلى مسامعي أصوات الدم المشرشر منه، حينئذ شممت رائحة لذيذة تنبعث من حواف الوردة، بينما الذئب الجريح يراقب هذا المنظر بعينين مشتعلتين بالغضب.

هل كان وقتئذ يتفحص الوردة فقط؟

نظرت إلى النهرين اللذين يحددان جغرافيا الرخام بين يديَّ، فلاح في أقصى الزاوية من تلك الأرض الممتدة عالم غريب، حيث نباتات البردى والقصب وأعشاب الريحان تتكاثف لتشكل عتمة مخيفة.

يا له من مشهد حميم، كان القمر يتقهقر، وكان الرخام يبحث عن الأضواء، يجذبني إليه بعنف جنوني، فلم أصبر، مددت يدي، أمسكت في أعلاه بحمائم لها مناقير حمراء لذيذة لم أر مثلها في حياتي، حتى في أحلام الطفولة والصبا لم أر مثلها.

في تلك اللحظة تذكرت جارنا الذي سرق إحدى الحمامات حين كانت حماماتنا تملأ أبراج البيت بأشكالها المتنوعة، لكني استغربت لماذا تذكرتم.

على مقربة من يدي، كانت حبيبات لزجة من الماء، تطفو على حواف النهرين، وكنت لا أملّ من الحركة بين دغلة العشب والحمائم الطائرة أبداً في سماء الرخام.